الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة بعنوان:

ملامح التفكير البلاغي لدى عبد الملك مرتاض

قراءة تحليلية في كتاب "نظرية البلاغة، متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا".

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في الدراسات اللغوية

تخصص: لسانيات عربية.

إعداد الطالبة:
- حمو نور الهدى.

إشراف الأستاذ الدكتور:
— نور الدين دحماني.

أ. د. نور الدين دحماني
أستاذ التعليم العالي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم

الرقم	اسم ولقب الأستاذ(ة)	الرتبة	الصفة
01	أ.د. حسين بن عاشة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
02	أ.د. نور الدين دحماني	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا
03	أ.د. حسنية مسكين	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022م- 2023م.

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة بعنوان:

ملامح التفكير البلاغي لدى عبد الملك مرتاض

قراءة تحليلية في كتاب "نظرية البلاغة، متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا".

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في الدراسات اللغوية

تخصص: لسانيات عربية.

إعداد الطالبة:

- حمو نور الهدى.

إشراف الأستاذ الدكتور:

– نور الدين دحماني.

السنة الجامعية: 2022م– 2023م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير:

أشكر الله على مساعدته وتوفيقه لي في إتمام هذا البحث

وأود أن أعبر عن شكري العميق وامتناني للأستاذ الدكتور " **نور الدين دحماني** "

على إرشاده وتوجيهه لي.

كما أود أن أعبر عن الشكر لجميع الأساتذة الذين قاموا بتعليمي وتدريسي.

وأشكر أيضًا كل من ساعدني سواء كانوا قريبين أو بعيدين.

إهداء:

إلى من أُفضِّلها على نفسي وقد ضحَّت من أجلي

في سبيل إسعادي أُمِّي الحبيبة.

إلى صاحب الوجه الطيب، والأفعال الحسنة.

فلم يبخل عليَّ طيلة حياته والدي العزيز.

إلى أصدقائي، وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون،

وفي أصعدة كثيرة أُقدِّم لكم هذا البحث، وأتمنَّى أن يحوز على رضاكم.

أهديكم هذا العمل المتواضع.

نور الهدى

مقدمة

تعد البلاغة العربية من الفروع الأساسية في الأدب العربي، حيث تمتاز بتاريخها العريق الذي يمتد عبر العصور، فتشتمل على مجموعة من القواعد والأصول التي تساهم في تطوير الأساليب اللغوية والتعبيرية المؤثرة وذلك باستخدام اللغة بصورة فنية ومؤثرة، بهدف التأثير على المتلقي وإقناعه بالأفكار والرؤى التي يرغب المتكلم في توصيلها.

وقد شاعت في فترة زمنية ليست ببعيدة أقوال تشير إلى استنفاد درس البلاغة وتجاوزها، وأنه لم يعد بالإمكان سوى تلقينها دون نقد أو إضافة جديدة. تم تعميم الأقاويل التي تنتقد الأسلوبية وتزعم أنها فارغة وغير ضرورية، واقترح بعض النقاد أن تحل محلها معارف نقدية ولغوية جديدة.

ومع ذلك، فقد أثبت البحث النقدي خلفية قصور هذه الاعتقادات، وأظهر أن البلاغة لا تزال حية ومهمة في العصر الحديث. فقد قام البلاغيون المعاصرون بتجديد الأفكار والمفاهيم البلاغية وتطويرها لتواكب التحولات الاجتماعية والثقافية، من خلال بحوثهم ومؤلفاتهم، قدموا نظريات جديدة ومنهجيات تطبيقية تساهم في تطوير النظرية البلاغية وتحسين استخدام اللغة البلاغية في التواصل والتعبير.

ومن بين هؤلاء العلماء البلاغيين نجد "عبد الملك مرتاض" الذي يعد من أبرز المفكرين الجزائريين في مجال البلاغة، فقد تميز كتابه الشهير "نظرية البلاغة –متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا–" بأنه من الأعمال الأدبية النظرية الرائدة في هذا المجال.

وهذا ما دفعني إلى اختيار موضوع بحثي المعنون بـ"ملامح التفكير البلاغي لدى عبد الملك مرتاض، قراءة تحليلية في كتاب "نظرية البلاغة، متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا".

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع هو أهمية وتأثير كتاب "نظرية البلاغة" لعبد الملك مرتاض في مجال الدراسات البلاغية. حيث يعتبر مرجعًا مهمًا ورائدًا في فهم وتحليل مفاهيم البلاغة العربية. وبفضل الفكر النقدي والبلاغي لعبد الملك مرتاض، الذي ساهم في تطوير فهمنا (لنظرية) البلاغة وتطبيقاتها في العصر الحديث.

وأما الدراسات السابقة حول موضوع "ملامح التفكير البلاغي عند عبد الملك مرتاض" كانت جلها مجلات ومقالات، ولم يتطرق إليه أي باحث في كتابه كون "عبد الملك مرتاض" باحث معاصر.

ومن أهم الدراسات السابقة التي عالجت الموضوع ما يلي:

- طاطة بن قرماز، جماليات الأسلبة في التفكير النقدي عند عبد الملك مرتاض (مجلة اللغة والاتصال).
- يوسف بن نافلة، التنظير اللغوي لدى عبد الملك مرتاض من خلال كتابه "نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها" (مجلة جسور المعرفة).
- العربيّ عمّيش، روح التجاوز في تفكير عبد الملك مرتاض البلاغي (مجلة اللغة والاتصال).
- محمد سيف بوفلاقة، نظرية البلاغة في بحث الميزان النقدي تجربة عبد الملك مرتاض نموذجا (مجلة قضايا الأدب).

وقد استعنت بعدة مراجع أهمها:

- الكتاب التي قامت الدراسة عليه "نظرية البلاغة –متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا" لعبد الملك مرتاض؛
- كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ؛
- كتاب "الأسلوب والأسلوبية" لعبد السلام المسدي.

وقد اقتضت طبيعة البحث طرح عدة إشكالات لمعرفة ملامح التفكير البلاغي عند عبد الملك مرتاض، والتي تمحورت حول:

– ما قيمة الإنجازات العلمية التي قدمها عبد الملك مرتاض، وما طبيعة الإسهامات التي اقترحها لتأسيس نظرية بلاغية معاصرة تستوعب مفاهيم القدامى والمحدثين؟

– ما هي دعائم وأسس نظرية البلاغة التي تطرق إليها مرتاض؟

– بأيّ رؤية معرفية عالج عبد الملك مرتاض البلاغة؟

– ما هي تجلّيات الصورة البلاغية، وما طبيعة تجاذبات الدرس البلاغي من منظور مرتاض؟

وللإجابة على هذه الأسئلة تطرقت إلى خطة بحث تمثلت في مدخل وفصلين حيث كل فصل تضمن أربعة مباحث، وخاتمة.

فقد تمحور المدخل حول نشأة الدرس البلاغي وتجديده، يليه الفصل الأول المعنون بـ "نظرية البلاغة وجماليات الأسلبة" فأتينا فيه على التعريف بمرتاض وشخصيته العلمية وإسهاماته في قضايا اللغة والأدب والنقد والبلاغة، وما هي معالم النظرية البلاغية التي درسها، وما المقصود بالأسلوبية والأسلبة، أما الفصل الثاني فكان معنونا بـ "تجديد البلاغة عند عبد الملك مرتاض" وقد تطرقنا فيه إلى مفهوم البلاغة العربية والبلاغة الإعجازية عند مرتاض، وإلى الميراث البلاغي في المفاهيم السيميائية، وإلى الصورة البلاغية من منظوره. وقد ختمت بحثي هذا بعدة نتائج توصلت إليها.

وقد اعتمدت على المنهجين الوصفي ومنهج المقاربة التكاملية التي تجمع بين عدّة مناهج سيميائية ولسانية وجمالية وإعجازية، وذلك بحسب تنوّع طبيعة المواضيع التي عالجها مرتاض في كتابه موضوع بحثي هذا، لتحليل القضايا البلاغية واستكشاف وفهم البلاغة العربية من منظور عبد الملك مرتاض.

ومن الصعوبات التي واجهتني في دراستي لهذا الموضوع هو ندرة الدراسات حول جماليات الأسلبة في كتاب "نظرية البلاغة" لعبد الملك مرتاض، وأيضا حول السيرة الذاتية الموثقة للكاتب كونه لا يزال معاصرا – بارك الله في عمره ونفع بعلمه – ونادرا ما تجد مصدرا موثوقا يتحدّث عنه في حدود اطلاعنا.

وفي الختام، أود أن أقدم الإقرار والشكر الخالص لأستاذي المشرف، الأستاذ الدكتور دحماني نور الدين"، الذي قدم لي كل الدعم والمساعدة في إنجاز هذا البحث. ولقد كان حكيمًا في توجيهاته ومشاركته القيمة، ولم يبخل علي بنصائحه الثمينة لإثراء موضوع البحث. فأنا ممتنة له على التوجيه والإرشاد، وأثمن جهوده القيمة. فالفضل يعود أولاً وأخيرًا لله سبحانه وتعالى، وإذا كان هناك فضل آخر فإنني أعتبر أنني بذلت قصارى جهدي، وأن توفيقي لم يأتِ إلا بعون الله. لذا، أسأل الله أن يجعل هذا العمل مفيدًا ونافعًا.

المدخل

(الدرس البلاغي من النشأة إلى التجديد)

تعدّ اللغة العربية من أجمل اللغات الإنسانية، فهي تحتوي على ثروة لغوية هائلة تشمل مفردات وعبارات وتعابير ثرية ومعانٍ عميقة. ومن الأهداف الرئيسية لتعلم اللغة العربية هي إتقان اللغة البلاغية، وهي علم يتناول النص اللغوي ويحلّله من خلال دراسة مكوناته اللغوية والأسلوبية والموضوعية والتركيبية.

حيث أن الدرس البلاغي يعد فرعا من فروع اللغة البلاغية، وهو عبارة عن درس يتضمن دراسة الأساليب والتقنيات اللغوية التي يستخدمها المتحدث في إقناع الآخرين برأيه أو فكرته. ومن خلال الدرس البلاغي يتم تحليل النص اللغوي وتفسير معانيه واستخلاص الدروس المستفادة منه.

نشأة وتطور الدرس البلاغي:

يعود نشأة الدرس البلاغي إلى العصور القديمة، حيث كان اللغة والخطابة تحظى بأهمية كبيرة في المجتمعات القديمة، سواء كانت دينية أو سياسية أو اجتماعية. وكانت الحاجة ماسة لتعلم وتطوير مهارات الكلام والإقناع والتأثير على الآخرين.

وقد كان الدرس البلاغي في البداية عبارة عن مجموعة من المبادئ والقواعد العامة التي تم تجميعها وتنظيمها لتساعد على تحسين مهارات الخطابة والإقناع. وقد كانت هذه المبادئ والقواعد تشمل مختلف جوانب الخطابة مثل البناء الصرفي والنحوي والبلاغي والتنظيم الجيد للفكرة والتأثير على المستمع.

ومن ثم، تحول إلى علم متعدد الأقسام، حيث تم وضع الأسس الرئيسية لهذا العلم وتحديد مبادئه وقواعده. تم تطوير أساليب وأدوات تحليلية لفهم القوة الإقناعية للخطاب والتأثير اللغوي على الجمهور.

ومع ذلك، لا يزال هناك هامش للجمال والإبداع والتجديد والابتكار في مجال البلاغة. فالبلاغة لا تزال تحتاج إلى استكشاف جوانبها المختلفة وتطويرها بما يتناسب مع التطورات اللغوية والثقافية الحديثة. هذا يعني أنها لم تنضج تمامًا بل ما زال هناك فرصة للباحثين والعلماء لتقديم نظريات جديدة وتجارب مبتكرة في هذا المجال، وهذا ما يؤكده حمدي بركات في قوله: "من كل ما تقدم كنا نهدف إلى إعلان مفهوم قائم في أنفسنا وهو أن البلاغة العربية من العلوم التي لم تحترق ولم تنضج، ولم تحترق لأنها أحد مفاتيح الإعجاز القرآني، والجمال الأدبي... فالعرب وغيرهم من دارسي اللغة العربية، وآدابها بحاجة إلى اتقان هذا المعيار البلاغي أو الإلمام به. أما أنها لم تنضج؛ فلإن الوسائل التي تعرض بها بحاجة إلى تجديد وثقافة العصر الذي تشع فيه"[1].

[1] محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1983م، ص8.

يقصد محمد بركات هنا أن البلاغة العربية لا تزال تحتاج إلى التطور والتجديد، وأنها لم تصل بعد إلى مرحلة النضج التام، ويشدد على أهمية دراسة البلاغة واكتساب المعرفة بها، حيث تعد من المفاتيح لفهم الإعجاز القرآني والجمال الأدبي.

1- العصر الجاهلي:

أشار شوقي ضيف في مقدمة كتابه **البلاغة تطور وتاريخ** إلى أن البلاغة "بدأت في شكل ملاحظات بسيطة كان ينثرها العرب في الجاهلية. وأخذت هذه الملاحظات تكثر مع رقي العقلية العربية بعد الإسلام. ولمستها في العصر العباسي عصا الحضارة والثقافات السحرية"[1]، ويمكننا القول هنا أن الجاهلية قد شكلت البداية الأولى لتطوير الدرس البلاغي، وذلك لأن العرب كانوا يتمتعون بقدر كبير من اللغة العربية والشعر، وكانت الملاحظات التي كانوا ينثرونها تحوي بعض القواعد اللغوية والأساليب البلاغية البسيطة. ومع تبلور الفكر الإسلامي، تطور الدرس البلاغي وأصبح يشمل مفاهيم وأساليب أكثر تعقيدًا. وفي العصر العباسي، شهدت الحضارة الإسلامية ازدهارًا كبيرًا في مختلف المجالات، بما في ذلك الأدب والبلاغة. وتمثل هذه الحقبة فترة حافلة بالعطاءات الأدبية والثقافية، حيث برز العديد من العلماء والأدباء والشعراء والبلغاء، الذين ساهموا في تطوير الدرس البلاغي وبلورة مفاهيمه وأسسه، وجعلوا منه درسًا مستويًا على سوقه، مكتملاً الحلقات.

إن العرب في الجاهلية كانوا يتمتعون بمعرفة وفهم واسع للأساليب البلاغية وأشكالها المختلفة، ويؤكد هذا عبد العزيز في كتابه "تاريخ البلاغة العربية" حين قال "ندرك أن عرب الجاهلية قد عرفوا الكثير من الأساليب البلاغية وصورها، وإن منهم من بدأ بذوقه وحاسته النقدية يقضي بين الشعراء، ويميز بين حاسن الشعر وعيوبه على أساس مقاييس بلاغية تتصل باختيار الألفاظ والمعاني والصور الشعرية، كما تتصل بالإيجاز والتعقيد والمطابقة بالكلام ومقتضاه، وما إلى ذلك ن الملاحظات البلاغية لفن القول"[2]، ونفهم ن هذا الكلام أن عبد العزيز عتيق يشير إلى أن العرب في الجاهلية كانوا يتمتعون بفهم واستخدام الأساليب البلاغية بشكل واسع، حيث أن بعض الأفراد كانوا يستندون إلى حواسهم النقدية وذوقهم

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص5.

[2] عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص12.

الشعري للتمييز بين الشعراء وتقدير قيمة قصائدهم. كانت الملاحظات البلاغية تشمل عدة جوانب، بما في ذلك اختيار الألفاظ والمعاني والصور الشعرية المستخدمة في الشعر. وكانوا يستخدمون أيضًا تقنيات مثل الإيجاز والتعقيد والمطابقة في الكلام ومقتضاه.

وقد ذكر كذلك شوقي ضيف عن العرب في الجاهلية بقوله: " بلغوا مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وقد صوّر الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه من مثل: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (سورة الرحمن: الآية 1-4)،﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (سورة المنافقون: الآية 4)، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (سورة البقرة: الآية 204)،كما صوَّر شدة عارضتهم وقوتهم في الحجاج والجدل بمثل : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ (سورة الأحزاب: الآية 19)، ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (سورة الزخرف: الآية 58). ومن أكبر الدلالة على ما حذقوه من حسن البيان أنْ كانت معجزة الرسول الكريم وحجته القاطعة لهم أنْ دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة. وهي دعوة تدل في وضوح على ما أوتوه من اللّسن والفصاحة والقدرة على حوْك الكلام، وكما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين ما يجرى فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير"[1].

وتتميز لغة العرب في العصر الجاهلي بالغنى والجمال والبلاغة، حيث كان العرب يهتمون بصياغة الكلام والتعبير عن أفكارهم بأسلوب جذاب وجميل، وكانوا يتنافسون في الشعر والخطابة والأدب، فتألقت بالإيجاز والبساطة والقوة الشديدة في التعبير، وقد اتسمت بعدم التعقيد والبعد عن الزخرفة اللفظية الزائدة. وهذا ما أكده **عبد القادر حسين** في كتابه **أثر النحاة في البحث البلاغي** حين قال "وأبرز ما يلفت أنظارنا في لغة العرب في العصر الجاهلي، أنها لغة إيجاز وأنهم حريصون على هذا الإيجاز كل الحرص، فيحذفون الحرف، والكلمة، والجملة، والجمل. إذا كان الكلام مفهوما بدونها، وظهر الدليل عليها، فيانسون إلى طبيعتهم في الاقتصار، ويشيرون إلى المعنى إشارة معبرة موحية، تغنى عن الكلام الطويل، والسرد المملول"[2]، والمقصود هنا أنه في بعض الأحيان يمكن للعرب في العصر الجاهلي

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، مرجع سابق، ص9.

[2] عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، ص10.

إزالة الحروف أو الكلمات أو الجمل التي ليست ضرورية للتعبير عن المعنى المراد، وذلك عندما يكون المعنى مفهومًا دونها وعندما يكون هناك دليل واضح على المقصود. وعندها يقتصرون في استخدام اللغة ويعبرون عن المعنى بأقصر عبارة ممكنة، وهذا ما يعرف بالإيجاز.

2- عصر صدر الإسلام:

في عصر صدر الإسلام، تطورت البلاغة العربية بصورة كبيرة. ففي هذا العصر بدأ العرب يستخدمون اللغة العربية بشكل متفوق ويتميزون بالإلقاء الجيد والتعبير الدقيق. كانت المناسبات الدينية والاجتماعية تشكل مجالًا مهمًا للاستخدام الفعال للبلاغة، حيث كانوا يعتمدون على الإيجاز والإطناب في التعبير والتعامل مع اللغة. وهذا ما يوضحه عبد القادر حسين في قوله:"كان العرب في صدر الإسلام يجرون في أساليبهم على الطبع والسليقة تارة. وعلى الدربة والتثقيف تارة أخرى فيوفون اللفظ والمعنى حقهما. ويصلون إلى الغرض في إيجاز، أو إطناب، ومواساة على حسب ما يقتضيه المقام كما كانوا لا يحفلون بالسجع ولا يقصدونه قصدا إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام واتفق منهم على غير قصد واكتساب. لأنهم في ذلك كله يرسلون الكلام ارسالا دون تعمل أو تكلف"[1]. ويعني بهذا القول أن العرب في عصر صدر الإسلام كانوا يتحدثون بشكل طبيعي وسهل، دون الحاجة لتكلف أو جهد زائد في التعبير. كانوا يعبرون عن أفكارهم ومشاعرهم بصراحة وبساطة، دون الحاجة للتعقيد في الأسلوب أو الاستعانة بالمبالغة أو التكلف. بمعنى آخر، كانوا يرسلون رسالتهم بطريقة طبيعية وبسيطة دون الحاجة لتشكيلها بصورة معقدة أو تكلفة في العبارة.

ترعرعت البلاغة تحت راية القرآن، وأصبحت البلاغة المعاصرة تعتمد على أسس ومبادئ بلاغية ونحوية وأدبية تجدها في القرآن الكريم، مما يعكس أهمية القرآن في تشكيل الفن البلاغي وتطويره. وفي هذا الشأن يقول مازن المبارك: "نشأت البلاغة وترعرعت تحت راية القرآن والبحث في إعجازه ... وهذا البحث هو الذي وصل بها إلى أن تصبح علما مستقلاً يُخَصُ بالتأليف. بل لقد ظلت البلاغة بعد نضجها واستقلالها أيضاً عالقة بفكرة إعجاز القرآن والدفاع عنها، فهذا السكاكي (626م) في (مفتاح العلوم) يتعرض لهامع ما في كتابه من بحث نظري قائم على التبويب والتقسيم ... وهذا ابن أبي

[1] المرجع نفسه، ص13.

الإصبع (654 هـ) يهتم في (بديع القرآن) بفكرة الكشف عن وجه الإعجاز ... وهذا الخطيب القزويني (739هـ) صاحب (التلخيص) يضع كتابه في شرح علوم البلاغة ذاكراً في مقدمته أن فكرة الاعجاز كانت السبب في وضع الكتاب، يقول: "علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدرًا، إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها .."[1].

حيث يقول عبد العزيز عتيق: "في صدر الإسلام ازدهرت الخطابة العربية ونهضت نهضة ملحوظة لكثرة دواعيها، وبلغت عناية الخطباء بها مبلغا عظيما، وراحوا يفتنون في طولها وقصرها على حسب المقتضيات، ويتخيرون لها من الألفاظ أحسنها وأنسبها، ويتجنبون كل غريب يعوق سرعة الافهام. واهتمام أولئك الخطباء ومحاولتهم الارتقاء بأساليبهم البيانية وتنويعها تدل على ادراكهم لبعض أسرار البلاغة التي تكسب القول جمالا وتأثيرا في النفوس"[2]،ويضيف محمد مشبال: "نشأت البلاغة العربية ونمت مرتبطة بالخطاب القرآني أساسا، وفي أحيان أخرى كانت وثيقة الصلة بجنس الخطابة، حيث يجوز وصفها بأنها بلاغة الخطاب"[3]، يعني هذا الكلام أن البلاغة العربية نشأت وتطورت في الأساس بفضل الخطاب القرآني، فالقرآن الكريم يتميز بأسلوب فصيح والبديع والذي يلفت النظر إلى دقته اللغوية وجماليته البلاغية.

ومن هنا يمكن وصف البلاغة العربية بأنها بلاغة الخطاب، إذ إن الخطابة هي الجنس الأكثر صلة بالبلاغة، حيث تعد الخطابة فناً يهدف إلى إقناع الآخرين بما يريد المتحدث إيصاله إليهم، وتتضمن تقنيات بلاغية ونحوية متنوعة لإثراء الخطاب وجعله أكثر تأثيراً.

من جانب آخر قد أولى المفسرون اهتماما بالبلاغة وكان لهم دور كبير في نشأة البلاغة وذلك ما وضحه عبد القادر حسين في كلامه: "ومن بين الطوائف التي شاركت بنصيب وافر في نشأة البلاغة وتطورها، طائفة المفسرين، فقد تناولوا آيات القرآن الكريم، وأبرزوا ما فيها من جمال فني، وروعة أخاذة، حتى نرى علماء البلاغة فيما بعد يستشهدون في قواعدهم البلاغية بأمثلة من القرآن سبقهم إليها

[1] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، د. ط، دار الفكر، د.ت، ص48.

[2] عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية، مرجع سابق، ص17.

[3] ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأصول –دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي– نموذج ابن جني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ص13.

المفسرون في الاستشهاد بها"[1]، ويقصد بهذا أنهم كانوا يعنون بتفسير القرآن وفهمه وتبيان معانيه وأسراره وتأملاته وإشاراته العلمية والتشريعية والأخلاقية والمعرفية، ويستندون في ذلك إلى اللغة العربية وعلومها المختلفة مثل النحو والصرف والبلاغة والعروض والتفسير وغيرها.

علماء البلاغة:

تأثرت دراسة البلاغة أيضًا بإسهامات العلماء في مجالات مختلفة الذي كان لهم دورا كبيرا في تطوير الدرس البلاغي من بينهم: أبو عبيدة معمر بن المثنى، الجاحظ، المبرد، ابن المعتز، قدامة بن جعفر، القاضي عبد العزيز الجرجاني، أبو الحسن الرماني، أبو الهلال العسكري، عبد القاهر الجرجاني، الزمخشري، السكاكي، الخطيب القزويني، وغيرهم من العلماء.

1.الجاحظ (ت255هـ): كتاب البيان والتبيين للجاحظ من أهم الكتب التي أرست أسس البلاغة، وأبانت على دور علماء الكلام في البلاغة العربية، وفي هذا يقول حمادي صمود: "ولقد عدت مؤلفات الجاحظ، خاصة البيان والتبيين أهم وثيقة عن دور المتكلمين في إرساء أسس البلاغة وضبط مقاييسها". ولم تقتصر آراء الجاحظ البلاغية على كتابه البيان والتبيين بل نجدها مبثوثة في كتابه "الحيوان"، فضلا عن كتابيه المفقودين، وهما "نظم القرآن" و "آي القرآن".

أسهم الجاحظ إسهاما بينا في تطوير لدرس البلاغي، وخطابه خطوة نوعية لم يسبق إليها من خلال ملاحظاته البلاغية حيث تكلم عن التشبيه، والاستعارة، والكناية وغيرها والإكثار من الشواهد والنماذج، وكذا تقسيمه اللفظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيما حادثا، وإنما قديم قدم البلاغة العربية[2].

2.ابن المعتز(ت296هـ): أضاف ابن معتز للبلاغة تحليلًا دقيقًا للأساليب البلاغية، توسيعًا لمفهوم البديع والتركيز على العواطف والمشاعر، وأكد على أهمية التنوع والابتكار في الأساليب البلاغية، يقول عبد العزيز عتيق "ابن المعتز بوضعه كتاب البديع قد قام بالمحاولة الأولى في سبيل استقلال هذا العلم البلاغي وتحديد مباحثه التي كانت قبلا مختلطة بمباحث علم المعاني وعلم البيان"[3]،

[1] عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، القاهرة، ص11.

[2] ينظر: عمر بن طرية، التفكير البلاغي عند الزركشي من خلال كتابه البرهان في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص 18.

[3] عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية، مرجع سابق، ص49.

ونفهم من هذا القول أن ابن المعتز قام بتحليل شامل للأساليب البلاغية المختلفة، مثل المجاز والاستعارة والاستدلال، وأعطى لكل أسلوب بلاغي مبحثًا خاصًا يستوعب مفاهيمه وتطبيقاته. كما ركز على توضيح مفهوم البديع وأهميته في الخطاب والأدب، وحاول ابن المعتز تحقيق استقلالية البلاغة كعلم وتمييزها عن علم المعاني وعلم البيان. بفضل هذه المحاولة الرائدة، وضع أسسًا لدراسة البلاغة كعلم مستقل وأسهم في تطويرها كمجال بحثي مهم في التراث العربي.

3. قدامة بن جعفر(ت337هـ): أضاف قدامة بن جعفر العديد من المساهمات الهامة في مجال البلاغة، وقد قدم تحليلات شاملة للخطاب الشعري والنثري، وركز على أهمية القراءة الصوتية والأداء المؤثر في البلاغة. وقد تحدث عبد العزيز عتيق عنه بقوله "ولقدامة منهج في التأليف، يجمع إلى غزارة المادة، وعمق التفكير حسب الترتيب وسهولة العبارة وإيجازها، وقد بعثه على ذلك قصده في كثير من كتبه إلى أن تكون سهلة التناول والاستظهار على ناشئة الكتاب الذين يعدون أنفسهم لتقلد الأعمال الديوانية، كما صرح بذلك في كتاب "الخراج"، فكتبه من قبيل كتب ابن قتيبة، وإن كان قدامة أروع أسلوبا وأمثل طريقة، وأشد تأثرا بالكتب الدخيلة في العربية"[1].

4.عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ): هو عالم لغة وبلاغة عربي شهير، قدم العديد من المساهمات الهامة في مجال البلاغة، حيث أضاف إليها تحليلًا دقيقًا للعناصر البلاغية وتصنيفًا موسعًا للأساليب اللغوية المختلفة. وكانت مساهماته تعزز الفهم النظري والتطبيقي للبلاغة، وقد تحدث عنه عبد القادر حسين حيث قال "ويمكن القول إن عبد القاهر قد أثر تأثيرا كبيرا في علماء البلاغة المتأخرين"[2] فقد قدم الجرجاني تصنيفًا شاملاً للأساليب البلاغية وأوضح أهمية البيان والتعبير الفعّال فتأثر علماء البلاغة المتأخرون بهذه المفاهيم واستخدموها في تحليل وفهم البيان وتعزيز قدراتهم اللغوية. وقد أضاف إلى ذلك عبد العزيز عتيق بالحديث عن مؤلفات الجرجاني فقال "وله في عالم التأليف كتب قيمة في النحو والصرف والعروض والتفسير وإعجاز القرآن والبلاغة، ولكنه اشتهر أكثر ما اشتهر بكتابين يتسمان بالأصالة والتجديد والابتكار هما: كتاب "أسرار البلاغة" الذي وضع فيه نظرية علم البيان

[1] عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية، مرجع سابق، ص143.

[2] عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، مرجع سابق، ص418.

وكتاب "دلائل الاعجاز" الذي وضع فيه نظرية "علم المعاني"، وهو بهذين الكتابين يعد بحق واضع أسس البلاغة العربية والموضح لمشكلاتها، والذي على نهجه سار رجال البلاغة من بعده وأتموا البنيان الذي رسم حدوده ومعالمه وأرسى قواعده وأركانه"[1].

5.السكاكي (ت626هـ): السكاكي هو نوع من أنواع الألغاز اللغوية التي تتميز بتعقيد وتنوع هياكلها وصيغها. يعتبر السكاكي تحديًا للذكاء والثقافة اللغوية، ويستخدم في العديد من المجالات بما في ذلك البلاغة، أضاف السكاكي للبلاغة عناصر من التحدي والشاعرية والفن. يتطلب فهم السكاكي قدرة على استيعاب اللغة بشكل عميق وتفكيك الهياكل اللغوية المعقدة. إضافة السكاكي للبلاغة يمكن أن يعزز القوة التعبيرية والجاذبية اللغوية للخطاب، وفي هذا السياق يقول أحمد صالح خلف الربيعي "السكاكي أراد البلاغة أن تسير في نسق العلوم الأخرى، فقد أسرف في الضبط والتقنين، وتناولها بتصور الأولوية فيه للتقسيم، والحد، والحصر، والتقعيد، وما إلى ذلك من مظاهر التناول العقلي"[2].

6.أبو هلال العسكري (ت395هـ): ذكر الزركلي في كتابه "الأعلام" أن أبو هلال العسكري هو: "الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر، نسبه إلى "عسكر مُكرَم" من كور الأهواز. من كتبه "التلخيص" في اللغة، و"معجم-خ" في اللغة، و"جمهرة الأمثال-ط" و"الحث على طلب العلم-خ" رسالة، و"كتاب الصناعتين: النظم والنثر-ط"..."[3] ويتمثل دور أبو هلال العسكري في البلاغة في مساهماته الكبيرة في استخدام اللغة العربية بشكل جميل وبلاغي، وفهمه العميق للعروض الشعرية وقواعد البديع، مما جعله من العلماء المرموقين في هذا المجال.

وقد تميز هؤلاء الأدباء وغيرهم من الذين ساهموا في تطوير الدرس البلاغي بقدرتهم على الإبداع والابتكار في التعبير اللغوي والتواصل، ويجربون أساليب مختلفة ويطورون تراكيب وأساليب سرد جديدة،

[1] عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية، مرجع سابق، ص246.

[2] حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، جامعة أم القرى، 1996، مكة المكرمة، ص 422-423.

[3] خير الدين الزركلي، الأعلام -قاموس التراجم-، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1986، ص196.

ما يثري الدرس البلاغي ويزيده إثارة وتنوعًا. بفضل قوة كلماتهم وصورهم اللغوية، كما يقدمون أفكارًا جديدة وقابلة للتطبيق، مما يعزز الفهم والتحليل في مجال الدرس البلاغي.

تجديد الدرس البلاغي:

قبل الولوج إلى التجديد في الدرس البلاغي لا بد من فهم مصطلح التجديد أولا.

أ) التجديد لغة:

يُذكَرُ في لسان العرب لابن منظر أن التجديد لغة هو: "تصيّير الشيء جديدا، وجدّ الشيء أي صار جديدا، وهو خلاف القديم، وجددّ فلان الأمر، وأجدّه، واستجدّه إذا أحدثه"[1]. أي يتمثل البحث عن صياغة جديدة لمعطيات قديمة في مفهوم ابن منظور، حيث يتم التجديد اللغوي عندما يتم تحويل الشيء إلى جديد ومغاير للماضي. يقوم فلان بتجديد الأمر وتجديده واستحداثه ليكون جديدًا. أي أنه إتيان بما ليس شائعًا أو متداولا. لكن التجديد هو تعبيرٌ عن تطوير للبناء القديم بدلاً من استبداله تمامًا. فعندما يتم التجديد، يتم تعزيز البناء القديم بعناصر جديدة أو مفاهيم مبتكرة تحافظ على الروح الأصلية للعمل.

ب) التجديد اصطلاحا:

يعرفه عثماني عمار بقوله "ليس التجديد كما يدعيه بعض النقاد في ترك القديم، وإتيان الجديد، ليحل محله، ويأخذ مكانه، إذ إنّ التجديد يقتضي أولا وجود بناء قديم يجرى عليه التجددّ والتطوّر. واختلاف النظر في التأصيل لمفهوم التجديد أدى إلى اتجاه التوفيق، الذي ينظر أصحابه إلى التجديد باعتباره عملية توفيقية بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية، وذلك بهدف إيجاد نوع من المصالحة فيما بينها"[2].

إن تجديد الدرس البلاغي هو مفهوم يتردد في أروقة العلوم البلاغية والتعليمية، ويشكل استجابةً لتحديات العصر الحديث وتطوراته المتسارعة. يتناول هذا المفهوم الحاجة الملحة لتحديث المناهج

[1] ابن منظور، جمال الدين محمد الإفريقي، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، مادة (ج د د)، 1968م، ص202.

[2] عثمانيّ عمّار، ملامح تجديد البلاغة في كتاب "البلاغة العربية، قراءة أخرى" لمحمد عبد المطلب دراسة تحليلية نقدية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، علوم في البلاغة العربية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2015-2016م، ص92.

والأساليب التدريسية المستخدمة في دراسة البلاغة، تعرضت علوم البلاغة لتوقف وجمود يستدعي القلق. بل وصل الأمر إلى تعرضها للهجوم من قبل بعض المهتمين بالأدب واللغة. وهذا ما أكدته منير محمد خليل ندا بقولها "تعرضت في العصور الأخيرة لما تعرضت له من توقف وجمود، بل من هجوم، كان من المحتم أن يدعو بعض المهتمين بشؤون الأدب واللغة إلى تجديد علوم البلاغة في العصر الحديث، وأصبحت تلك الدعوة قضية تثار من وقت لآخر، ومحاولات واهية، تظهر حينا وتختفي أحيانا"[1]. ونتيجة لذلك الهجوم، دعا بعض المفكرين والأدباء إلى تجديد هذه العلوم وتحديثها في مواجهة التحديات الحديثة وقد كان الهدف من تجديد علوم البلاغة في العصر الحديث إلى إعادة إحياء هذا العلم وجعله متجددًا ومتناغمًا مع التحولات الثقافية واللغوية الحديثة.

التجديد في مجال البلاغة يتنوع في أشكاله وأهدافه ومناهجه. هناك اتجاهات متنوعة للتجديد، تختلف في طرائقها وأساليبها. بعضها يهدف إلى تجديد البلاغة العربية في العصر الحاضر، بينما يعتبر البعض الآخر تجديدًا زائفًا يستند إلى هجوم على التراث واللغة العربية، "إن التجديد في الحقل البلاغي كغيره من فروع العلم والمعرفة تتنوع صوره وأشكاله، وتتباين أهدافه ومراميه، وتتنازعه اتجاهات ومناهج تتنوع طرائقها وأساليبها. وتختلف مآربها ومذاهبها في كيفية النهوض بالبلاغة العربية في عصرها الحاضر، بين مروج لتجديد مزعوم قائم على النفخ في نار الهجوم على تراثنا والإطاحة به. وإنكار فضل اللغة العربية وتعمد الخروج على أساليبها، إلى غير ذلك من حملات طائشة وفكر مسموم وتعلات باطلة تبناها الفكر الغربي وسعى إلى تحقيقها. وبين فكر رشيد يدعو إلى ضرورة العودة إلى المنابع الأصيلة في تراثنا العربي فمنها يستقي المجددون رؤاهم الجديدة. وهي السبيل الوحيد لفهم النتاج الأدبي"[2]. وقد صرح أيضا إبراهيم عطية أن هناك حملات تستهدف الإطاحة بتراثنا وتجاهل فضل اللغة العربية، وهناك فكر مسموم يستند إلى أفكار باطلة تبناها الفكر الغربي. من بين الاتجاهات الفكرية المختلفة، هناك فكر صائب يحث على العودة إلى جذورنا الأصيلة في تراثنا العربي، حيث يستمد المجددون رؤاهم الجديدة.

[1] منير محمد خليل ندا، التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، مرجع سابق، ص47.

[2] هزيل يحي، عميروش حورية، تجديد الدرس البلاغي بين العمق التراثي والبعد الأسلوبي في الفكر المعاصر دراسة في المفهوم والإجراء، مرجع سابق، ص271.

إن هذه العودة إلى المنابع الأصيلة هي السبيل الوحيد لفهم النتاج الأدبي وتقدير قيمته ومعانيه في الوقت الحاضر.

وتعود أسباب الدعوى إلى التجديد إلى طبيعة التحولات الفكرية والثقافية التي شهدتها المجتمعات في ذلك الوقت. وقد كانت هناك ضرورة لمواكبة التطورات العالمية وتجاوبا معها، وتجديد الأساليب والمناهج القديمة لمواكبة العصر الحديث وتلبية احتياجات المجتمعات المتغيرة. يوضح عثماني عمار حول هذا الموضوع بقوله "الدعوى إلى التجديد سببها إلى ما شهده النصف الثاني من القرن العشرين في الكثير من التحولات الفكرية والأدبية، فبين حين وآخر يظهر مذهب أو دعوى إلى منهج جديد. والعربي وهو يعيش في أحداث عصره لم يكن بعيدا عن تلك التيارات والمذاهب والمناهج، فهو سريع التأثر بنزعاتها بالجديد أو تمثلا له أو نقدا"[1]. بالتالي، كانت الدعوى إلى التجديد تعكس رغبة العرب في الاستفادة من التحولات الفكرية والأدبية العالمية وتطبيقها على واقعهم الثقافي والأدبي، مما يعكس تفاعلهم وتأثرهم بالجديد ورغبتهم في تجديد وتطوير الأفكار والأساليب الأدبية.

وعندما انطلقت الدعاة في العصر الحديث تنادي بتطوير البلاغة وتجديدها، بدأ كل منهم يضرب عن رأيه في التجديد، ويبين وجهة نظره في التطوير.

من بين هؤلاء الباحثين الذين جددوا في البلاغة، يبرز عبد الملك مرتاض كواحد من أوائل المناصرين للتجديد في هذا المجال. بدأ مرتاض بتقديم أفكاره ورؤاه الجديدة حول البلاغة والأدب، حيث دعا إلى إعادة تقييم المفاهيم القائمة وتطويرها في ضوء التحولات الحديثة في المجتمع والفكر.

كان لمرتاض إسهامات هامة في تجديد البلاغة، وقد قدمت أعماله المبتكرة وجهة نظر جديدة تلبي احتياجات العصر الحديث وتعبر عن تحولات الفكر والمجتمع. بفضل جهوده، استطاع مرتاض أن يثير اهتمام العديد من الأكاديميين والباحثين والمثقفين، وأصبح مرجعًا هامًا في مجال التجديد البلاغي والأدبي.

[1] عثمانيّ عمّار، ملامح تجديد البلاغة في كتاب "اللاغة العربية، قراءة أخرى" لمحمد عبد المطلب دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص94.

تمهيدًا لفهم فكر عبد المبك مرتاض في الحقل البلاغي، ينبغي النظر إلى سياقات التأليف المتشعبة التي تميزت بها أعماله العلمية الشاملة. حيث يُعَدُ عبد الملك مرتاض من العلماء البارزين في مجال البلاغة والنقد الأدبي، وقد أسهم بشكل كبير في تطوير النظريات البلاغية المعاصرة والتفكير النقدي.

تتمحور اشتغالاته العلمية حول عدة إطارات نظرية متعددة، بما في ذلك نظرية اللغة، ونظرية الشعر، ونظرية الرواية، ونظرية النقد، ونظرية النص. ويتعامل معها على أنها منظومات تواصل تتجاوز المستوى اللغوي، حيث يدرس العلاقة بين النصوص الأدبية والثقافة والمجتمع، وكيفية تأثير النصوص في تشكيل وتحويل الوعي الثقافي.

ويُعَدُ من المفكرين الذين يتجاوزون التخصصات المحددة ليبحثوا في العلاقات المترابطة بين هذه الإطارات النظرية المختلفة. يهدف إلى تطوير نظرة شاملة للعلوم البلاغية وإشراك مجموعة واسعة من الأبعاد المتعددة.

ومن خلال بحثي هذا، سنتعمق في دراسة عبد الملك مرتاض وأعماله، وسنحلل ونناقش أفكاره ومناهجه الجديدة في مجال التجديد الأدبي من خلال كتابه **نظرية البلاغة –متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا–**، وسنتناول تأثيره على الحقل البلاغي ومدى تجاوب الباحثين والدارسين مع دعوته. كما سنستكشف النقاشات ول المواضيع التي عالجها في هذه الدراسة.

الفصل الأول:

نظرية البلاغة وجماليات الأسلبة.

المبحث الأول: نبذة عن العلامة "عبد الملك مرتاض".

المبحث الثاني: نظرية البلاغة.

المبحث الثالث: ما بين الأسلوبية والأسلبة.

المبحث الرابع: جماليات الأسلبة.

الفصل الأول: نظرية البلاغة وجماليات الأسلبة.

المبحث الأول: لمحة عن عبد الملك مرتاض:

يعد عبد الملك مرتاض، الكاتب الموسوعي والأديب الجزائري المعروف، ذو شخصية مهمة في العالم الثقافي العربي ويعتبر من الأكاديميين والمفكرين البارزين، ومن أهم الشخصيات الأدبية والفكرية، وقد تميز بقدرته على التفكير العميق والتحليل النقدي. وكان له تأثير كبير في مجال البلاغة وعلم الأسلوب، وقد قدم العديد من الأفكار والمفاهيم المهمة في عدة مجالات نقدية وأدبية وشعرية وسردية وغيرها.

1- حياته:

ولد عبد الملك مرتاض 10 ديسمبر سنة 1935م بمسيردة ولاية تلمسان ، أستاذ جامعي ومحاضر، كاتب موسوعي يصول ويجول في كل فنون وأنواع الأدب: إبداعا ونقدا، قصة وشعرا، رواية ومسرحا، حفِظ القرآن العظيم وتعلّم مبادئ الفقه والنّحو في كُتّاب والده. [1]

2- مساره العلمي والمهني[2]:

الجدول الموالي يمثل أهم إنجازاته العلمية والأدبية لعبد الملك مرتاض:

السنة	إنجازاته العلمية والمهنية
1954	التحق بمعهد ابن باديس بقسنطينة.
1955	التحق بجامعة القرويّين بفاس (المغرب) في شهر أكتوبر من عام.
1960	التحق بكلية الآداب جامعة الرباط (المغرب). وسجّل في كلية الحقوق والعلوم السياسية، ومعهد العلوم الاجتماعية، بجامعة الرباط.
1960	شهادة البكالوريا (القسم الثاني من الشهادة الثانوية)، تطوان.
1961	التحق بالمدرسة العليا للأساتذة بالرّباط.

[1] ينظر: https://www.annasronline.com أجرت الحوار نوارة لحرش، 2018/04/16، تاريخ الزيارة 2023/05/16.

[2] ينظر: https://www.elhayatalarabiya.net أضواء على سيرة وجهود العلاّمة الدكتور عبد الملك مرتاض بقلم محمد سيف الإسلام بوفلاقة، كلية الآداب، جامعة عنابة، 2021/11/09، تاريخ الزيارة 2023/05/15 على الساعة 23:55.

1963	تخرج في يونيو أيضا في المدرسة العليا للأساتذة بالرباط.
1970	نال المنزلة الأولى بين المتخرّجين، نال درجة دكتوراه الطّور الثالث في الآداب من جامعة الجزائر.
1971	عيّن رئيسا لدائرة اللغة العربية وآدابها، لدى استحداثها، لأوّل مرة، بجامعة وهران.
1974	عيّن مديراً لمعهد اللّغة العربيّة وآدابها، بجامعة وهران.
1975	انتخب رئيسا لفرع اتحاد الكتّاب الجزائريين لولايات الغرب الجزائريّ لدى استحداث هذه الهيئة لأول مرّة.
1983-1980	عُيّن نائبا لمدير جامعة وهران.
1981	انتُخب عضواً في الهيئة المديرة لاتحاد الكتّاب الجزائريين.
1983	درجة دكتوراه الدّولة في الآداب بمرتبة الشّرف من جامعة السّوربون الثالثة بباريس نال عدّة شهادات تقديريّة وفخريّة، كما كرّمته العديد من الهيئات العلميّة والثقافيّة.
1983– 1986	عُيِّنَ مديرا للثقافة والإعلام لولاية وهران، لدى استحداث هذه المديريّة لأوّل مرّة.
1989-1984	أُنتخب أمينا وطنيا (قُطْريّا) مكلّفاً بشؤون الكتّاب الجزائريين.
1984	رأس مؤتمر الكتّاب والصّحفيّين والمترجمين الجزائريّين.
1998-1986	عُيّن رئيساً للمجلس العلميّ بمعهد اللغة العربية وآدابها، في جامعة وهران
1998	أسس مجلة «دراسات جزائريّة»، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران.
1999	عيّن عضواً في المجمع الثقافي العربي ببيروت.
2001 -1998	رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.
2022	نال جائزة العويس.

3- شخصيته وأسلوبه:

شخصية وأسلوب عبد الملك مرتاض متميزان في عالم الأدب، حيث يجمع بين الثقافة العميقة والأسلوب الجمالي، مما يجعله من أبرز الأدباء الذين أثروا المشهد الثقافي العربي وأثرت كتاباته في العديد من القراء والمثقفين.

ومن هذا المنبر يصرح **جلول دواجي** أن العوامل والبواعث التي أثرت في تجربة **عبد الملك مرتاض** الإبداعية والنقدية تنبع من الخلفية الشخصية والتجارب التي عاشها، بقوله "إن المطلع على أعمال **عبد الملك مرتاض**، المتتبع لمساراته الكتابية والاتجاه النقدي والمساعي التي بذلها في تحقيق القيم التراثية والحضارية يكتشف أن هناك بواعث وعوامل كانت سبب تجربته الإبداعية والنقدية، تتلخص فيما عاشه والظروف التي أحاطت به هذا من جهة، ومن جهة أخرى في تلك المنطلقات والأسس الفكرية التي استمد منها أفكاره وكتاباته وأسلوب لغته، فإنها توصف ضمن رافدين اثنين هما:

أ- المرجعية التراثية:

وتشمل المحفوظات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه والتفسير، والمقطوعات الشعرية من الأدب العربي القديم، ثم الدراسة في النحو والصرف وعلوم اللغة بصفة عامة، وضمن هذا الرافد كان للبيئة الدينية والاجتماعية التي ولد فيها "عبد الملك مرتاض" العامل الرئيسي في تشبعه بالثقافة العربية الإسلامية.[1]

كما أن هناك عامل آخر يتمثل في اطلاعه على البلاغة العربية ونظرياته والنقد القديم ومفاهيمه، حيث أقبل على القراءات المتعددة في كتب ومواد الجاحظ مثل "البيان والتبيين" و "البخلاء" ومن كتب اللغة استفاد من أفكار العلماء مثل "ابن جني" في مؤلفاته (الخصائص) وأبو العباس المبرد وكتابه "الكامل" ومتون أخرى تمثلت في ألفية ابن مالك والأجرومية والنحو وغيرهما.

وحتى يؤكد افادته من الكتب البلاغية أشار قائلا: "إن العرب هم على شيء عظيم..."، وإنهم كانوا يحومون حول كثير من النظريات والأفكار الكبرى للحداثة الغربيّة ولاسيما كتابات "عبد القاهر

[1] جلول دواجي، الرؤى النقدية عند "عبد الملك مرتاض" قراءة في كتابه "في نظرية النقد"، مرجع سابق، ص 118.

الجرجاني" و "القاضي الجرجاني" و "ابن الجني" و "ابن قتيبة" و "ابن خلدون" وأمثالهم."[1] وخلاصة القول إن عبد الملك مرتاض يعتبر كتب الجاحظ وابن الجني وغيرهما من أعمال الأدباء الكلاسيكيين جزءًا هامًا من اطلاعه واهتمامه الثقافي. حيث أنه استفاد من دراسة وقراءة تلك الكتب في تطوير منهجه الأدبي والنقدي وتأثيره في تحليل النصوص وكتابته بأسلوبه الخاص، ويذكر أيضا **جلول دواجي** العامل النفسي بقوله "وآخر العوامل، الأثر النفسي ودوره في اتقانه للغة العربية لاسيما وأن عدد الجزائريين كان قليل ممن يتقنون قواعدها على خلاف اتقانهم اللغة الفرنسيّة آنذاك، ولذلك لم تكن عنده الازدواجية اللغوية، وكان في صوته هذا كثير من الجرأة في القول والصراحة والتعبير، وكان من القوة أن يعلو صوته، إلى التعريف بالحرف العربي، في وقت كنا لا نلقي أصواتا تقلدت مثل هذه الدعوة." باختصار، هذا القول يعكس جوانب شخصية **عبد الملك مرتاض** التي تتمثل في الازدواجية اللغوية، الجرأة في القول والصراحة، التعبير القوي، والقدرة على التعريف بالحرف العربي بشكل مميز. يعكس هذا القول رؤيته الفريدة وصوته القوي في الساحة الثقافية واللغوية.

ب- روافد الحداثة:

الرافد الذي عرف من خلاله الباحث الحداثة الغربيّة وأعلامها، سواء عن طريق القراءة في كتبهم اللغوية، أو الاحتكاك ببعضهم والبحث في أسس وأصول منطلقاتهم الفكريّة، ولاسيما الفرنسيين منهم، ففي هذا الجانب من مكوناته الأولية ذهب إلى القول: "إن قصتي مع المكونات الغربيّة ابتدأت بمنهجية ووعي منذ عشرين عاماً بالتحديد، أي منذ تعرفت شخصياً على أستاذي "أندري ميكائيل" المستشرق الفرنسي المعروف والّذي تعلمت منه في جلسات (بالكوليج) "دي فرانس" كثيرا من العلم. وكثيرا من التأصيل المنهجي خصوصا، وقد جعلتني هذه السيرة أعيد النظر في ترتيب أوراقي".[2] هذا القول يبرز أهمية الرافد الغربي في تكوين الكاتب وتأثيره في نظرته للحداثة وأسلوبه الفكري. يظهر القدرة على النقد الذاتي وإعادة ترتيب الأفكار والتأثيرات الغربية على الأفكار الشخصية للكاتب.

[1] جلول دواجي، الرؤى النقدية عند "عبد الملك مرتاض" قراءة في كتابه "في نظرية النقد"، مرجع سابق، ص117.

[2] المرجع نفسه، ص 119.

ثقافة عبد الملك مرتاض تتميز بتنوعها وشموليتها. يعتبره عدد من النقاد والباحثين كاتبًا موسوعيًا يتناول مختلف فنون الأدب والثقافة. يتمتع بمعرفة واسعة في مجال الأدب العربي التقليدي والحديث، ويظهر اطلاعه العميق على الأعمال الأدبية الكلاسيكية والمعاصرة ويؤكد عربي عميش هذا الكلام "إن ثقافة عبد الملك مرتاض اللغوية عامة والبلاغية خاصة متصلة بأسباب نبوغه فيها بطبيعة تلونات سيرية معرفية المميزة المتصلة يتوقد البديهة التي تزين أساليبه التعبيرية ذات التوقيعات الإطرافية المستحلاة في قلوب سامعيه قبل القارئين له".[1]يتضح من هذا الكلام أن ثقافة عبد الملك مرتاض اللغوية تعد من العناصر الأساسية التي تميزه في مجال الأدب والبلاغة، حيث يتمتع بقدرة فذة على التعبير واستخدام الأساليب اللغوية المميزة التي تجذب القرّاء وتثير اهتمامهم.

ويتميز أسلوب عبد الملك مرتاض بعدة جوانب تجعله فريدًا ومميزًا بين الكتّاب والأدباء. يتسم أسلوبه بالتنوع والاختلاف، حيث يجيد الكتابة في مجالات متعددة والتعبير في أنماط أدبية متنوعة. بالإضافة إلى ذلك، يظهر أسلوبه بالجرأة والصراحة في التعبير، حيث يتجاوز الحدود ويتناول المواضيع الجريئة بشجاعة وصراحة ملفتة. كما يتميز بالاستخدام الجمالي للغة، حيث يعبر ببراعة ودقة عن أفكاره ورؤاه باستخدام التشبيهات والاستعارات والصور البلاغية. يتميز أيضًا بالعمق الفكري والتأملات العميقة، حيث يقدم أفكارًا معقدة وينظر إلى الحياة والإنسانية بنظرة تحليلية وفلسفية. وليس ذلك فحسب، بل يتميز أسلوبه بقدرته على التواصل وإثارة اهتمام القرّاء، حيث يعبر عن أفكاره ورؤاه بطريقة تلمس العواطف وتثير التأمل. بشكل عام، يعد أسلوب عبد الملك مرتاض مصدرًا للإلهام والتأمل، ويثري المشهد الأدبي بتنوعه وجرأته وجماليته اللغوية. و هذا ما تؤكده **طاطة بن قرماز** بقولها " الدقة والبساطة والوضوح وهي خصوصيات إبداعية مقضية جميعها إلى إمتاع القراء، مكنته من أن يحوز على كفاءة عالية خولت له اقتراع اللغة وتشقيق ألفاظها تشقيقا مطاوعا يحقق الإمتاع والإلذاذ في نفوس متقبليه، إنه فنان في التعامل مع اللغة بامتلاكه رصيدا معرفيا واسعا في مجال النحو وفي إتقان الجانب

[1] العربيّ عمّيش، روح التجاوز في تفكير عبد الملك مرتاض البلاغي، مجلة اللغة والاتصال، 2014، العدد 16، جامعة وهران، الجزائر، ص.21

البلاغي من حيث تعاطيه الأساليب المجازية بحنكة وامتياز "[1] ومن هذا السياق يتضح أن **عبد الملك مرتاض** يُعَدّ فنانًا في التعامل مع اللغة، حيث يتمتع برصيد معرفي واسع في مجال النحو والصرف، مما يمكنه من فهم تراكيب اللغة وقواعدها بشكل شامل وعميق. بالإضافة إلى ذلك، يتميز بإتقانه الجانب البلاغي للغة، حيث يستخدم الأساليب المجازية والتعابير المعنوية بحنكة وبارعة. يتمكن من استخدام التشبيهات والاستعارات بشكل متقن، مما يضيف جمالًا وقوة تعبيرية لكتاباته. يعكس هذا امتيازه في التعامل مع الأساليب البلاغية قدرته على توظيف اللغة بشكل إبداعي ومبتكر، مما يثري نصوصه بالتأثير والإقناع.

4- أهم مؤلفاته:

تتميز كتابات عبد الملك مرتاض بالغزارة الكمية والروح الموسوعية، إذ تتوزع على أفانين ثقافية شتى، كالرواية والشعر والقصة والنقد والتاريخ والتراث الشعبي ...، فلا مناص من القول: إنه من أغزر كتّاب الجزائر (قديما وحديثا) تأليفا وأكثرهم تنوعا، إضافة إلى المقالات التي لا تعد ولا تحصى وفيما يلي جدول يضم مؤلفاته البارزة مرتبة بحسب تواريخ طبعتها الأولى[2]:

الرقم	السنة	المؤلَف
1	1968	القصة في الأدب العربي القديم.
2	1971	نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر.
3	1971	المسيرة التاريخية للتعريب في الجزائر (مقال)، مجلة الثقافة-الجزائر.
4	1975	نار ونور (رواية).
5	1976	الصحافة الجزائرية في كتابات العرب (مقال)، مجلة الأقلام.
6	1977	دماء ودموع (رواية).
7	1978	مناقشات: دراسة بعيدة عن الموضوعية (مقال)، مجلة الآداب.

[1] طاطة بن قرماز، جماليات الأسلبة في التفكير النقدي عند عبد الملك مرتاض، جامعة شلف، الجزائر، مجلة اللغة والاتصال، 2014، العدد 16، جامعة وهران، الجزائر، ص93.

[2] https://www.annasronline.com ، تاريخ النشر: 2018/04/16، تاريخ الزيارة: 2023/05/15.

8	1979	معالم الأدب العربي الحديث في الجزائر (مقال)، مجلة الأقلام.
9	1980	فن المقامات في الأدب العربي.
10	1980	مدخل إلى دراسة الرواية الجديدة (مقال)، مجلة الأقلام.
11	1981	الخصائص الشكلية للشعر الجزائري الحديث.
12	1981	الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر.
13	1981	العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى.
14	1981	الخصائص الشكلية للشعر الجزائري الحديث (مقال)، مجلة الآداب.
15	1982	حول دراسة النص الأدبي (مقال).
16	1982	الألغاز الشعبية الجزائرية.
17	1982	الأمثال الشعبية الجزائرية.
18	1982	زواج بلا طلاق (مسرحية).
19	1983	المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائريّة.
20	1983	فنون النثر الأدبي بالجزائر.
21	1983	النّص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟
22	1984	الشيخ البشير الابراهيمي.
23	1884	الشخصية في القصة الجزائرية المعاصرة (مقال)، مجلة الكاتب العربي.
24	1985	الخنازير (رواية).
25	1986	بنية الخطاب الشعري.
26	1986	الرواية جنسا أدبيا (مقال)، مجلة الأقلام.
27	1986	صوت الكهف (رواية).
28	1986	د. عبد الملك مرتاض عن التقليد والإبداع في الأدب الحديث–حوار (مقال)، مجلة الأقلام.

29	1987	وفي الأمثال الزراعية.
30	1987	عناصر التراث الشعبي من اللاز.
31	1988	هشيم الزمن (مجموعة قصصية).
32	1989	ماهية الأسطورة ووظيفتها (مقال)، مجلة القاهرة.
33	1989	الميثولوجيا عند العرب.
34	1989	كتابة كأنها الحركة (مقال)، مجلة كلمات.
35	1989	ألف ليلة وليلة.
36	1989	عروض كتب: بنية الخطاب الشعري (مقال)، مجلة فصول.
37	1990	القصة الجزائرية المعاصرة.
38	1990	ملامح الشخصية في القصة اليمنية المعاصرة (مقال)، مجلة الإكليل.
39	1991	فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص (مقال)، مجلة علامات في النقد.
40	1991	تجربة نقدية- خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ - دراسة في "زقاق المدق" (مقال)، مجلة فصول.
41	1992	التحليل السيميائي للخطاب الشعري (مقال)، مجلة علامات في النقد.
42	1992	أ-ي.
43	1992	الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس (مقال)، مجلة علامات في النقد.
44	1993	ألف ليلة وليلة (تحليل تفكيكي لحكاية حمال بغداد).
45	1994	شعرية القصيدة – قصيدة القراءة.

46	1994	عرض كتاب ألف ليلة وليلة– دراسة سيميائية تفكيكية لحمال بغداد (مقال)، مجلة فصول.
47	1994	نظام الخطاب القرآني.
48	1994	نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي (مقال)، مجلة قوافل.
49	1995	تحليل الخطاب السردي.
50	1995	القراءة.. وقراءة القراءة (مقال)، مجلة علامات في النقد.
51	1995	تقاليد القراءة وأصولها في الأدب العربي (مقال)، مجلة نزوى.
52	1996	جمالية الحيز في مقامات السيوطي.
53	1996	بين السمة والسيميائية (مقال)، مجلة علامات في النقد.
54	1996	بين التناص والتكاتب: الماهية والتطور (مقال)، مجلة قوافل.
55	1996	مدخل في قراءة الحداثة (مقال)، مجلة اليان–الكويتية.
56	1996	الصورة الأدبية – الماهية والوظيفة (مقال)، مجلة علامات في النقد.
57	1997	قراءة النّص.
58	1998	في نظرية الرواية.
59	1998	مدخل في قراءة البنوية (مقال)، مجلة علامات في النقد.
60	1998	السبع المعلقات.
61	1999	الكتابة من موقع العدم.
62	1999	مدخل في قراءة البنيوية (مقال)، مجلة الموقف الأدبي.
63	1999	النّص والنّص الغائب.
64	1999	الشخصية اليهودية في جسر بنات يعقوب (مقال)، مجلة الموقف الأدبي.
65	1999	السبع المعلقات (نشر اتحاد والأدباء العرب).

66	1999	مدخل في قراءة البنوية (مقال)، مجلة الموقف الأدبي.
67	1999	نظرية التقويض: (مقدمة في المفهمة والتأسيس) (مقال)، مجلة علامات النقد.
68	2000	الأدب الجزائري القديم.
69	2000	مقدمة العدد الثالث (مقال)، مجلة اللغة العربية.
70	2000	مرايا متشظية (رواية).
71	2001	التحليل السيميائي للخطاب الشعري.
72	2002	في نظرية النقد.
73	2003	نظرية القراءة.
74	2003	قضايا الشعريات.
75	2003	الحفر في تجاعيد الذاكرة (سيرة ذاتية).
76	2003	سؤال الكتابة ومستحيل العدم.
77	2004	إشكالية الماهية، والبحث عن التجنيس (مقال)، مجلة أوان.
78	2005	وادي الظلام (رواية).
79	2006	بنية اللغة الشعرية عند حمزة شحاتة (مقال)، مجلة علامات في النقد.
80	2007	نظرية النص الأدبي.
81	2007	معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين.
82	2009	طلائع النور.
83	2009	مقدمة في نظرية البلاغة: متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها (مقال)، مجلة جذور.
84	2009	النقد الأدبي في المملكة (مقال)، مجلة الثقافة– مدة عكاشة.
85	2010	ثلاثية الجزائر (رواية).

86	2011	نظرية البلاغة.
87	2012	مائة قضية وقضية.
88	2016	بنية اللغة في الشعر النبطي (تحليل قصيدة نبطية للشيخ محمد بن زايد).
89	2020	عجائبيات العرب.

المبحث الثاني: نظرية البلاغة عند عبد الملك مرتاض.

قبل الولوج إلى نظرية البلاغة لا بد من تحديد مفهوم كل من مصطلح النظرية ومصطلح البلاغة لغة واصطلاحا.

أولا: مفهوم النظرية:

ورد مفهوم مصطلح "النظرية" في العديد من المعاجم العربية وهو مشتق من الفعل الثلاثي (نظر)، فالنظرية لغة واصطلاحا هي:

لغة:

ذُكِرَ في (القاموس المحيط) للفيروزآبادي: "نَظَرَهُ كَنَصَرَهُ وسَمِعَهُ، و-إليه نَظَرًا ومَنْظَرًا ونَظَرانًا ومَنْظَرَةً وتَنْظَارًا: تأمَّلَهُ بعَيْنِهِ"[1]، أما في معجم (تاج اللغة وصحاح العربية):"النظرُ: تأمل الشيء بالعين"[2]، وجاء في (متن اللغة):"النظر: المثل والنظير: كالند والنديد. النظر: الفكر في الشيء تقدره وتقصيه والأمر تنظر فيه وتختاره"[3].

إذن المقصود من النظر هو التأمل في الشيء وهو إعطاء مجموعة من الأفكار والآراء للتقصي لموضوعات ما، بتوقعات مضبوطة ومحددة.

اصطلاحا:

"يعرفها فيجل (**Feigl**) بأنّها: **"مجموعة من الافتراضات التي يمكن من خلالها اشتقاق عدد من المبادئ والقوانين الأمبريقية وفق إجراءات منطقية ورياضية"**.

يتضّح من التعريف أن النظرية تتمثل في وضع فرضيات حول موضوع معين تكون هذه الفرضية بمثابة رأي أو توقع لا بد من تأكيد صحته، شريطة أن تكون مضبوطة ومنطقية فتشكل بذلك نظام

[1] مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (نظر)، مج1، دار الحديث، القاهرة، 2008م، ص1623.

[2] الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، مج1، مادة (ن ظ ر)، تح: محمد تامر وآخرون، دار الحديث للنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 2009م، ص1148.

[3] أحمد رضا، متن اللغة، مادة (ن ظ ر)، مج5، دار مكتبة الحياة للنشر، بيروت، القاهرة، د.ط، 1985، ص489.

معيّن، من هنا عرفها سينسن (**Spens**) بأنها: **"نظام من المفاهيم المجردة تستخدم لتنظيم مجموعة من المبادئ والقوانين التي لم يمكن بينها أي ارتباط من قبل في بناء استنباطي موحد"**.

فإن كانت الفرضيات هي مصدر المبادئ والقوانين فإن النظرية هي الوعاء المنظم والجامع لها"[1].

وبذلك فإن وظيفة النظرية تكمن في تعميم التفسيرات للأحداث والظواهر، إضافة إلى ذلك "النظرية هي التي على أساسها يقوم العلم ويرتفع ويتوسع، والتطبيق مبرهن على صدقها، صحتها وسلامتها، والعلم الذي يهمل النظرية يصعب قيامه، وتقوم قيامته."[2]

في تراثنا العربي وجدنا أن الدارسين القدامى اهتموا بقضايا اللغة والأدب والنقد من منطلق نظري صرف، وخير دليل على ذلك اشتغالهم في مجال دراسة النحو على نظرية العامل والنظرية الخليلية في المعجم، ونظرية المحاكاة والتخييل لدى حازم القرطاجني في النقد الأدبي والتي قد استلهمها عن طريق الفلاسفة الإسلاميين الذي تأثروا بأفكار أرسطو بالإضافة إلى نظرية النظم عند الجرجاني التي ربطها بمعاني النحو.

ثانيا: مفهوم البلاغة:

تناول مصطلح البلاغة العديد من المفاهيم في المعاجم وكتب التراث البلاغي. فالبلاغة لغة واصطلاحا هي:

لغة:

يعرف بن فارس البلاغة بأنها: "الباء واللام والغين أصل واحد صحيح، وهو الوصول إلى الشيء. تقول: بلغت المكان، إذا وصلت إليه، وقد تسمى المشارفة بلوغاً بحق المقاربة. قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾ (سورة الطلاق: الآية2). ومن هذا الباب قولهم: هو أحمق بلغ: أي إنه مع حماقته يبلغ ما يريده. والبلغة: ما تبلغ به من عيش، كأنه يراد أنه بلغ رتبة المكثر إذا رضي

[1] نسرين نعمامنية – هناء بجاوي، أثر النظريات المعرفية في تنمية مهارة الفهم في الكتاب المدرسي الجزائري كتابي في اللغة العربية للسنة أولى متوسط أنموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، تخصص لسانيات تطبيقية، سنة 2020-2021، ص17.

[2] أحمد سعدي: العودة إلى النظرية البلاغية مع عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص3.

وقنع، وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان لأنه يبلغ بها ما يريده"[1]. والمقصود من كلام بن فارس يتم في هذه الجملة توضيح العلاقة بين الحرفين "الباء" و "اللام" و "الغين" والتأكيد على أنها تشكل أصل واحد صحيح، وهو الوصول إلى الشيء. وقد أعطى أمثلة لتوضيح مفهوم البلوغ، حيث يمكن استخدام العبارة "بلغت المكان" للإشارة إلى الوصول إلى المكان المراد. حيث قد استشهد بآية من القرآن الكريم لتوضيح مفهوم البلوغ في سياق مختلف، ويتم توضيح استخدامه لعبارة "هو أحمق بلغ" للإشارة إلى أنه بالرغم من حماقته يتمكن من تحقيق ما يريده.

اصطلاحا:

البلاغة هي مصطلح يستخدم في علم الأدب وعلم اللغة للإشارة إلى فن وعلم التعبير الفعال والفصيح. فيقدم **محمد جابر فيّاض** في كتابه **البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا** تعريف أبو هلال العسكري للبلاغة بأنها "بلغت الغاية: إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري. ومبلغ الشيء: منتهاه. والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته.

فسميت البلاغة بلاغة. لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها، فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغ أيضاً. ويقال الدنيا بلاغ: لأنها تؤديك إلى الآخرة. والبلاغ أيضاً: التبليغ، في قول الله عزوجل: ﴿**هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ**﴾ (سورة إبراهيم: الآية 52). أي: تبليغ، ويقال: بلغ الرجل بلاغة: إذا صار بليغاً، كما يقال: نبل نبالة: إذا صار نبيلاً. وكلام بليغ وبلغ –بالفتح– كما يقال: وجيز ووجز، ورجل بلغ –بالكسر–: يبلغ ما يريد"[2]. والمقصود من كلام **محمد جابر فيّاض** هو توضيح أصل كلمة "البلاغة" ومعانيها المختلفة. يتم استخدام الكلمة "البلاغة" لأنها تعبّر عن القدرة على إيصال المعنى إلى قلب المستمع أو القارئ وجعله يفهمه بوضوح. وكذلك تستخدم كلمة "البلغة" لأنها تمكن الشخص من التواصل وتجاوز حدوده والوصول إلى ما هو أعلى منها، وهو المستوى الفائق للبلاغة.

[1] أحمد بن فارس بن زكريا أبو حسن، معجم مقاييس اللغة، الجزء الثاني، دار الفكر، 2007، ص301.

[2] محمد جابر فيّاض، البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا، مرجع سابق، ص38-39.

وذكر أيضًا أمثلة أخرى لاستخدام الكلمة "بلغ" بأشكال مختلفة، مثل "نبل نبالة"، للإشارة إلى أن الشخص أصبح نبيلًا، وكذلك "رجل بلِغ" بالكسر، للإشارة إلى أن الشخص يبلغ ما يريد. يتم استخدام هذه الأمثلة لتوضيح أن الكلمة "بلغ" قابلة للتغيير والتصريف بشكل مختلف وتحمل معانٍ متعددة.

وقد أورد الجاحظ عدة تعريفات للبلاغة في كتابه البيان والتبيين، ومن بين هذه التعريفات، يأتي تعريف العتابي الذي يقول: "كل من أفهمك حاجته من غير حُبسة ولا استعانة فهو بليغ"[1]. ومن خلال هذه العبارة إلى أن العتابي لم يقدم تعريفًا محددًا للبلاغة، بل أعطى صفات للبليغ. ويوضح أن العتابي أجاب عن سؤال حول البلاغة من خلال تعريف البليغ كشخص يتمتع بصفات مثل الوضوح والتحرير وعدم الارتباك في الكلام، ولكن الجاحظ قام بشرح كلام العتابي بإنه لم يقصد أنه يطلق ذلك على جميع الأشخاص، بل يشير إلى الأشخاص الذين يتمتعون بالقدرة على البلاغة وتوصيل المعنى بطريقة فعالة ومقنعة. ويوضح أن الجاحظ يقيّد مفهوم الإفهام بنمط الكلام الفصيح المعتاد لدى العر، ويتمثل ذلك في قوله "والعتّابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولّدين والبلديين قصده ومعناه، بالكلام الملحون، والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقه، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد أن نكون قد فهمنا عنه"[2].

نظرية البلاغة:

قبل التوغل في نظرية البلاغة عند عبد الملك مرتاض لا بد من الحديث عن الهاجس التنظيري الذي صدر عنه في كثير من أعماله (نظرية النقد، نظرية الرواية، نظرية النص، نظرية الشعر، نظرية القراءة...) وغيرها من النظريات وما الداعي من استعمال هذا المصطلح في هذه المؤلفات؟

يتم استخدام مصطلح (النظرية) في العديد من السياقات التي تتعلق بتحليل وتفسير الأعمال الأدبية، وفهمها من منظور نقدي ونظري، حيث إن هاجس التنظيري يشير إلى الاهتمام العميق بالنظريات والمناهج التي تتعلق بالتحليل والتفسير في مجالات معينة مثل النقد الأدبي، والرواية، والنصوص

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، تح: عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة 1998، ص113.
[2] المرجع نفسه، ص113.

الأدبية، والشعر، وعملية القراءة. يمكن اعتباره توجها فكريا يسعى إلى تطوير وتوسيع فهمنا للأعمال الأدبية والنصوص الثقافية من خلال الاستناد إلى النظريات المختلفة والأدوات التحليلية المناسبة.

باستخدام النظريات المختلفة مثل نظرية النقد، ونظرية الرواية، ونظرية النص، ونظرية الشعر، ونظرية القراءة، يمكن تحليل وتفسير الأعمال الأدبية وفهم ما يحملها من معاني ورموز وتأثيرات على القارئ والمجتمع.

هذا الهاجس التنظيري يساعد على إثراء المعرفة وتطوير المناهج الأدبية والثقافية، ويساهم في إلقاء الضوء على مختلف جوانب الأعمال الأدبية والنصوص الثقافية، مما يسهم في إثراء التجربة الأدبية والفهم العميق للعمل الأدبي.

النظرية ترتبط بشكل وثيق بمستوى نضج العقل البشري ومنهجيته، وقدرته على معالجة القضايا الإنسانية بطريقة علمية، بعيدة عن التأثيرات الذاتية، وتقترب من التحليل والموضوعية وهذا ما نراه في كلام عبود حنا: "أهم مسوغات قيام نظرية حديثة يكمن في انتقال المجتمع الإنساني من الزارعة إلى الصناعة، وهذا يعني أن هناك انتقالا من التأمل إلى التحليل، من غير أن يعني ذلك رفض التحليل في التأمل أو وجود التأمل في التحليل... ولكن بشكل عام يظل الفكر الأدبي الحديث فكرا تحليليا، ويظل الفكر الأدبي القديم فكرا تأمليا"[1]، والدافع وراء هذا القول أن تطور المجتمع الإنساني من الزراعة إلى الصناعة يمثل مسوغًا أساسيًا لنشوء النظرية الأدبية الحديثة. يعني هذا التطور انتقالًا من التأمل إلى التحليل، دون أن يعني رفض التحليل في التأمل أو التأمل في التحليل. الفكر الأدبي الحديث يتميز بطبيعة تحليلية واستخدام النقد والتحليل المنهجي، بينما الفكر الأدبي القديم يركز على التأمل والتجربة الشخصية. يهدف الفكر الأدبي الحديث إلى تفكيك النصوص وفهمها من خلال الأدوات والأساليب التحليلية، بينما يهدف الفكر الأدبي القديم إلى استيعاب النصوص بطرق تأملية وشخصية. هذه النقاط تسلط الضوء على التحول في المنهجية الأدبية مع تقدم المجتمع وتطور الفكر الإنساني.

ونجد التنظير عند مرتاض في العديد من أعماله من بينها:

[1] عبود حنا، النظرية الأدبية والنقد الأسطوري، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ص 27.

1.نظرية الاختلاف في دلالة أبنية الأفعال[1]:

اعتمد عبد الملك مرتاض في نظرية الاختلاف في دلالة أوزان الأفعال أوما يعرف بالدلالة الصرفية على آراء العلماء الأوائل أمثال سيبويه الذي يعد أول من أوجد وصنع مصطلح "الزيادة"، حيث اعتقد النحاة العرب أنها زائدة في العربية. أي أنها ليست أصلية في استعمال الكلام. وذلك بعد أن عدّوا الفعل المكون من ثلاثة أحرف في الكلام العربي على أنه أصلي الحروف. وما زاد عن ذلك فيه من الحروف عدوه طارئا على ثلاثيته. واعتبروا تلك الحروف زائدة لا أصلية. أي: أنها تأتي في الكلام فضلة بحكم زيادتها هذه. ولاحظوا تواتر هذه الحروف المزيدة في الأفعال الثلاثية فرأوها عشرة.

2.نظرية التقدير والإضمار في النحو العربي:

في مسألة المضمرات في الإعراب يُدلف عبد الملك مرتاض إلى مسألة "التقدير" لدى إعراب الكلام في النحو العربي ، فيلاحظ أن نحاة الأمة عسروا من شأن النحو العربي فجعلوه في الحقيقة للخاصة من العلماء ، أي : جعلوه خالصا لهم يتعالون في معرفته على بعضهم بعض أيهم يكون أكثر تحذلقا ، وتمحلا أيضا .وذلك بابتكار المقدّرات ، والمضمرات لما يُشكل ويشدُّ من الكلام ، فيعسّرون من أمره تعسيرا ينفّر المتعلم ، ويعجز العالم ، والحال أن النحو إنما جعل للاستعمال العام لجميع الناس ، ولتيسير بيان نظام الكلام ، ولذلك راحوا يتنافسون فيما بينهم في أيهم أكثر إتيانا بهذه التقديرات ، والمضمرات في معظم المواطن التي يتناقض فيها تعبير فصيح ، منزاح ، مع ما كانوا قننوا من قواعد استنبطوها من العربية البسيطة التركيب : الفعل والفاعل والمفعول ، الفعل والفاعل والحال ، الفعل والفاعل والتمييز ، الاسم المرفوع المبتدأ به الكلام ، بعده اسم آخر مرفوع المبتدأ والخبر إلى آخر التصنيفات البسطة لقواعد النحو.

وجد مرتاض أيضا قد تطرق إلى نظرية البلاغة، حيث نجد الهاجس التنظيري ونظرية البلاغة هما مفاهيم مرتبطة ببعضهما البعض في سياق الدراسات الأدبية والنقدية. فالهاجس التنظيري يشير إلى

[1] ينظر: يوسف بن نافلة، التنظير اللغوي لدى عبد الملك مرتاض من خلال كتابه "نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها"، مجلة جسور المعرفة، المجلد 05، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، الجزائر، ص60.

الاهتمام بالنظريات والمفاهيم التي تساهم في فهم الأعمال الأدبية وتحليلها بشكل أعمق، بينما نظرية البلاغة تركز على فنون وأساليب التعبير اللغوي والأدبي.

إن الدراسات العربية الحديثة قد ركزت على إنشاء أسس قوية لنظرية البلاغة والكشف عن حقيقتها. وفي الوقت الحاضر، يوجد جدل كبير بين الأساتذة والأدباء والنقاد واللغويين في المجال العربي حول علم البلاغة وغايته وفائدته وملاءمته لمتطلبات الدراسة الحديثة. يعود هذا الجدل إلى القوالب التي صاغ فيها علم البلاغة والأشكال التي اتخذتها قواعده والصور التي تطورت إليها.

يرى بعض الدارسين أن المعارف النظرية في علم البلاغة هي الهدف النهائي بذاته، مما أدى إلى تحجر وتجمُّد في هذا العلم وانفصاله عن النصوص الأدبية الجميلة التي تعتبر مجالها وحقل تطبيقها، وعن الذوق الأدبي السليم.

وهذا ما تناولته **محمد سيف الإسلام بوفلاقة** حيث قال "اتجهت الدراسات العربية الحديثة إلى العناية بالتأسيس لنظرية البلاغة و الكشف عن حقيقة البلاغة اذ يدور اليوم جدل كبير بين المعنيين بالدراسات العربية من أساتذة و أدباء، و نقاد، و لغويين حول علم البلاغة ، و غايته ، و الفائدة منه ، و مدى ملاءمته لمقتضيات الدراسة العصرية، و السبب في ذلك يعود إلى القوالب التي صب فيها هذا العلم ، و الأشكال التي اتخذتها قواعده ، و الصور التي وصل بها إلينا ...، و قد خيّل لبعض الدارسين أن المعارف النظرية هي غاية بذاتها ، فأصاب علم البلاغة بعض التحجر ، و الجمود و انفصل على النصوص الأدبية الجميلة التي هي ميدانه ، و حقل تطبيقه ، و عن الذوق الأدبي السليم.[1] يهدف بوفلاقة هنا إلى تسليط الضوء على الحاجة إلى إعادة تقييم وتجديد علم البلاغة وتوجهه بما يتوافق مع الاحتياجات الحديثة للدراسة والتحليل الأدبي، وضرورة إعادة ربطه بالنصوص الأدبية والتركيز على الجوانب الجمالية والذوق الأدبي السليم.

يصرح **أحمد سعدي** من خلال هذا السياق أن مرتاض يرى أن البلاغة ليست مجرد دراسة تقنية للأساليب والقواعد اللغوية، بل إنها علم يعتمد بشكل أساسي على التفكير والتنظير، بقوله "الدكتور عبد الملك مرتاض واحد من المفكرين المعاصرين المهتمين بالشأن البلاغي الذين يدركون أن البلاغة

[1] محمد سيف الإسلام بوفلاقة: نظرية البلاغة في ميزان البحث النقدي-تجربة عبد الملك مرتاض نموذجا-، مرجع سابق، ص8.

كغيرها من العلوم اللسانية والإنسانية أساسها التفكير، وعمودها التنظير ". [1] ومن خلال هذا القول نفهم أن البلاغة من منظور **مرتاض** ليست مجرد تقنية للتعبير، بل هي أداة قوية للتفكير والتأثير. فهم البلاغة يساعد على فهم العلاقة بين اللغة والفكر، وكيفية استخدام الأساليب والتقنيات اللغوية لنقل الأفكار والمعاني بطرق فعّالة ومقنعة.

سعى مرتاض إلى توضيح الأبعاد الفنية والجمالية للبلاغة، وأشار إلى أهمية توافق البنية اللغوية والشعرية مع المضمون والغاية الأدبية لتحقيق التأثير الفعال على المتلقي. كما تناول أيضًا مفهوم البلاغة في سياق النقد الأدبي ودورها في تقييم النصوص الأدبية وتحليلها.

في نظر **عبد الملك مرتاض،** يحتل التنظير البلاغي مكانة مهمة في فهم وتحليل الظواهر اللغوية والأدبية. بحيث يعتبر أحد رواد التنظير البلاغي في العالم العربي، حيث يسعى إلى فهم جوانب البلاغة المختلفة وتحليلها بطرق علمية ونقدية.

يستند **مرتاض** في تنظيره البلاغي إلى المنهج العلمي والنقدي، حيث يقوم بدراسة النصوص الأدبية والخطابات ويحللها بعمق وتفصيل. يركز على فهم أساليب التعبير والتأثير والتواصل في النصوص، ويبحث عن القوانين والمبادئ التي تحكم عملية البلاغة.

فبذلك فإن النظرية المنهجية في البلاغة تسعى إلى تطوير إطار مفهومي ومنهجي يساعد على فهم وتحليل الظواهر البلاغية بشكل منهجي ومنظم، مما يسهم في تطور المعرفة والفهم العلمي لهذا المجال. ولكن مرتاض قد تطرق بهذا الخصوص إلى غياب هذه النظرية حيث قال « توالى الاهتمام بحقل البلاغة، ولكن ليس بكيفية منهجية تؤسس للنظرية البلاغية، وتحاول تطويرها، وبلورتها، إما انطلاقاً من تقاليد الذوق الأدبي العربي العام، وإما استعانة بما تُرجم عن أرسطو إلى العربية، بل ظل عامة العلماء من المتكلمين والمفسرين يعالجون المسألة البلاغية إما على هامش النحو ، أو بالتوازي معه، مثل عبد القاهر الجرجاني، وإما على هامش المسألة الإعجازية التي كلف بها العلماء في القرنين الثالث والرابع للهجرة كلفاً شديداً. وإذن، فعلى الرغم من اشتغال العلماء المسلمين بالظاهرة القرآنية، والاحتجاج لإعجازها، والذهاب في ذلك كل مذهب، والاشتغال أيضاً بشرح الأشعار، وذلك انطلاقاً من الأدوات البلاغية

[1] أحمد سعدي: العودة إلى النظرية البلاغية مع عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص3.

التي أسسوا بعضها، واستعاروا بعضها الآخر من كتابات أرسطو، إلا أنهم كثيراً ما كان يفوتهم وضع الأدوات التي يتخذونها وسائل للبرهنة والإقناع، وضعاً منهجياً صارماً، قبل الشروع في إنجاز أعمالهم الكبيرة في حقل إعجاز القرآن، حتى يكون القارئ على بينة مما يكتبون عن أثر القرآن في تأسيس نظرية البلاغة"[1] ويرى مرتاض من كلامه أنه على الرغم من اشتغال العلماء المسلمين بالقرآن والبحث في إعجازه وشرح الأشعار باستخدام الأدوات البلاغية، إلا أنهم غالبًا ما يفوتون وضع أسس منهجية صارمة لاستخدام تلك الأدوات كوسائل للبرهان والإقناع. كانوا يشتغلون في تحقيق إعجاز القرآن بدون وضع نظرية بلاغية محددة، وهذا كان يؤدي إلى عدم وضوح الأدوات التي يستخدمونها في البرهنة والإقناع. وبالتالي، كان من المهم وضع إطار منهجي صارم قبل البدء في إنجاز أعمالهم الكبيرة في حقل إعجاز القرآن، حتى يكون القارئ على علم بالتأثير الذي يتركه القرآن في تأسيس نظرية البلاغة.

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة –متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا–، ط2، دار القدس العربي، 2010، ص52.

المبحث الثالث: الأسلبة والأسلوبية.

1- مصطلح الأسلبة:

يعتبر مصطلح الأسلبة جزءًا من الأدوات البلاغية التي يستخدمها الكتاب والشعراء في تعبيرهم، إذ يشير إليها إياد طارش ساجت بقوله "ما أقصده بكلمة أسلبة ليس إعادة تصوير أسلوب عصر ما أو حدث ما وإنما تشكيل بنيته وجوهره، أي استخراج الخلاصة الداخلية لعصر أو لحدث ما، وإعادة تشكيل صفاته المخبأة بمساعدة كل الوسائل التعبيرية"[1]. والمقصود هنا أن الأسلبة هي استخلاص المعاني الأساسية والجوانب المخفية لعصر معين أو حدث محدد، وإعادة صياغتها بواسطة مجموعة متنوعة من الوسائل التعبيرية المتاحة في اللغة البلاغية.

يشير علاء الدين عبد المجيد جاسم عن الأسلبة بقوله "ويعد مفهوم الأسلبة إطارا إجرائيا لمعرفة تصورات ما سيكون عليه الشيء بعد الحذف والإضافة وما سيفضي إليه من قدرات بلاغية، ذلك أن هذا المفهوم المرتبط بالتصميم حاضر في أدبيات الفن بشكل صريح، وأيضا بشكل منبجس وراءه مفاهيم تقاربه في المعنى أو يذهب بعيدا إلى حد التجريد"[2]. يُفهم من الكلام المذكور أن مفهوم الأسلبة يعكس التصميم والتحويل البلاغي للمفاهيم والعناصر، ويتيح إمكانية تحقيق قدرات بلاغية جديدة من خلال الحذف والإضافة، وقد يرتبط بمفاهيم أخرى تقترب منه في المعنى أو تتجاوزه في مستوى التجريد.

إلى جانب ذلك يشير علاء الدين إلى إسهامات الأسلبة في قوله "والأسلبة تبعا لذلك تسهم في رفع القدرات الجمالية من خلال الإفصاح عن الأبعاد البلاغية المتحققة على المستوى التصميمي لتلك الموجودات نتيجة عمليتي الاختزال والإضافة التي تنتجها ومن ثم يمكن أن نستخلص أن التغير وعدم ثبات المعنى سمة من سمات الأسلبة، وحديثنا عن الحذف والتكثيف والاختزال في الأسلبة يتوافق مع الاستعارة والكناية واغلب أصناف البلاغة الأخرى، لان الحذف سيعطي للمؤسلب القوة ويجعله قادرا على الإيجاز وتقديم الكثير من المعاني بالقليل من التفاصيل"[3]. ونفهم من خلال هذا القول أن الأسلبة

---

[1] إياد طارش ساجت، توظيف الأسلبة وفاعلية الرمز في الأداء الممثل المسرحي العراقي، المجلة الأردنية، مجلد 15، عدد 2، 2022، ص474.

[2] علاء الدين عبد المجيد جاسم، الأسلبة والمتغيرات البنائية في الفيلم السينمائي، مرجع سابق، ص81.

[3] المرجع نفسه، ص82.

تتميز بتغير المعنى وعدم ثباته كسمة أساسية لها. حيث أن المعنى في الأسلبة يمكن أن يتغير ويتحول بمرور الزمن أو تغير الظروف، وأنه ليس ثابتًا وثابتًا. وأن تغير المعنى وعدم ثباته يعد جزءًا من طبيعة الأسلبة نفسها.

ويعرف باختين الأسلبة قائلا "هي تصوير فني لأسلوب لغوي غريب في صورة فنية للغة الغربية، وهي تنطوي بالضرورة على وعيين لغويين منفردين الوعي المصور أي الوعي اللغوي المؤسلب، وتتميز الأسلبة عن الأسلوب المباشر بوجود الوعي اللغوي للمؤسلب وجمهوره الذي يعاد على ضوئه إنشاء الأسلوب المؤسلب وعلى خلفيته يكتسب معنى وبعدا جديدا"[1]، والمقصود هنا أن الأسلبة تعتبر عملًا فنيًا يقوم بتصوير أسلوب لغوي غريب في صورة فنية باستخدام اللغة الغربية. تتطلب الأسلبة وجود وعي لغوي مزدوج، أي وعي لغوي منفرد للمؤلف ووعي لغوي منفرد للقراء. يكون الوعي اللغوي للمؤلف هو الوعي المؤسلب الذي يستخدمه لإنشاء الأسلوب المؤسلب، ويكتسب الأسلوب المؤسلب معنى جديدًا وبعدًا جديدًا على خلفية تفاعل الجمهور معه وفهمه لهذا الأسلوب. ببساطة، الأسلبة تعد تجسيدًا فنيًا لأساليب لغوية غير تقليدية وتتميز عن الأسلوب المباشر بوجود وعي لغوي للمؤلف والجمهور الذي يساهم في إنشاء وفهم هذا الأسلوب المؤسلب ومدلولاته.

ونجد أن كتاب "نظرية البلاغة" لم يتضمن فيه عبد الملك مرتاض تناولًا مباشرًا لمفهوم الأسلبة. حيث أنه يكز على تقديم نظرية شاملة للبلاغة وتحليل عناصرها المختلفة، مثل البنية اللغوية والأساليب البلاغية والقواعد التي تحكم استخدام اللغة الجمالية. ومع ذلك، قد يتضمن الكتاب مفاهيم قريبة من فكرة الأسلبة أو يتناول الجوانب التجريبية والابتكارية في البلاغة، ولكنه لا يتناولها بشكل مباشر تحت مصطلح الأسلبة.

لكن مرتاض قد تناول ما يطلق عليه "طريقة الأسلبة" و التي يعتبرها العناصر التي تُكَوِّن نظرية الأسلوب والتي بدورها تعرف تحت مصطلح "الأسلوبية" ونرى هذا في قوله "وإذا كانت التعريفات القليلة التي جئنا عليها تجمع، أو تكاد، على أنّ الغاية من اصطناع مفهوم "البديع" هي معرفة الكيفية

[1] ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1988م، ص149.

التي تفضي إلى تنميق الأسلوب، وتحلية الكلام بما يحسنه ويجمله، فإن ذلك لا يعني، لدى نهاية الأمر، إلا بحثا في كيفية بناء الأسلوب الذي يخاطَب به المتلقي، أو ما يمكن أن يطلق عليه "طريقة الأسلبة" وبعبارة أدق معرفة العناصر التي تكون نظرية الأسلوب، وهي النظرية التي أمست تُعرف تحت مصطلح "الأسلوبية" (La stylistique) في اللسانيات"[1]. وهنا يسلط مرتاض الضوء على الدور المهم الذي يلعبه مفهوم "البديع" في البلاغة، حيث يتم استخدامه لتحسين الأسلوب اللغوي وجعله جميلًا ومقنعًا للمتلقي. كما يتم تقديم مفهوم "طريقة الأسلبة" كوسيلة محتملة لتحقيق هذا الهدف.

2- الأسلوبية:

إن مفهوم الأسلوبية يشير إلى دراسة وفهم المظاهر والخصائص التعبيرية والفنية للغة. إذ إنه يتعلق بالشكل الذي يتم من خلاله التعبير عن الأفكار والمشاعر والمعاني باستخدام اللغة. فالأسلوب يعتبر أداة أساسية في التواصل والتعبير، ويساهم في تحقيق القوة البلاغية والتأثيرية للنصوص.

إن الأسلوبية في الثقافة العربية تشهد تطورًا واضحًا وجليًا في إطار الدراسات العربية، حيث يعمل الباحثون على تأسيس ميدان الأسلوبية كمجال علمي قائم على أسس متينة. وهذا ما أوردته **ابتسام** بوحربيط في قولها "لقد كانت الأسلوبية عند العرب تتطور بشكل واضح وجلي في إطار الدراسات العربية، وذلك من خلال محاولة الباحثين الاستقرار على تأسيس هذا الميدان العلمي تأسيسا يقينيا، فقد كانت لهم نظرة متميزة لمفهوم الأسلوبية، وذلك من خلال اطلاعهم على الدراسات الغربية، حيث ساهم مجموعة من الباحثين والنقاد في تحديد وضبط عدة مفاهيم لهذا المصطلح، ولعل أبرزها وأعمقها وأثراها معرفة ما بسطه عبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوب والأسلوبية" ، حيث يعرفهاّ على أنها علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية الانتظام جهاز اللغة[2]". والمغزى من هذا الكلام أن الأسلوبية في الدراسات العربية تطورت بشكل واضح وجلي، حيث حاول الباحثون تأسيسها كميدان علمي متين. لقد أظهروا رؤية مميزة لمفهوم الأسلوبية، واستفادوا من الدراسات الغربية في ذلك. ساهم الباحثون والنقاد في تحديد وتوضيح مفاهيم الأسلوبية، وكان لكتاب عبد السلام المسدي

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص175.

[2] ابتسام بوحربيط، سارة بوزرايب، نحو أسلبة البلاغة العربية في تحليل الخطاب العربي -كتاب نظرية البلاغة لعبد الملك مرتاض أنموذجا-، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص لسانيات الخطاب، 2019-2020، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل،ص14.

"الأسلوب والأسلوبية" دور بارز وعميق ومؤثر في تحديد هذا المصطلح. يعرفون الأسلوبية كعلم لساني يدرس مجال التصرف داخل حدود القواعد البنية المنظمة للغة.

إذ أن الأسلوبية هي فرع من فروع البلاغة يهتم بدراسة مظاهر التعبير في اللغة المنتظمة، وتشمل النحو والصرف والبلاغة والشعر والأدب. تعتبر الأسلوبية دراسة علمية للأساليب والتقنيات اللغوية المستخدمة في العمل الأدبي والتواصل اللغوي بشكل عام وقد أشار بوفلاقة إليها في قوله "لقد عرف شارل بالي الأسلوبية على أنها دراسة مظاهر التعبير للغة منتظمة من حيث المضمون الوجداني، أي أنها تجسيد فعل الحساسية بواسطة اللغة، وأثر أفعال اللغة في الحساسية، فالأسلوبية هي اصطناع مجموعة من الفعاليات الأسلوبية للغة من اللغات لتجميل جنسها، وإمتاع المتلقي به كما يمتع الموسيقار أذنه سامعيه لأنغام الموسيقى"[1]. والمقصود من هذا الكلام أن الأسلوبية تعبّر عن الحساسية والإحساس من خلال استخدام اللغة بطرق معينة. اللغة تكون وسيلة للتعبير عن المشاعر والانفعالات وتنقلها للمتلقي، وأنها تعمل على تأثير المتلقي بشكل عاطفي وحساس من خلال استخدام تقنيات وأساليب لغوية معينة، وأن الأسلوبية تتضمن مجموعة من الأساليب والتقنيات اللغوية التي تهدف إلى تحسين وتجميل اللغة وجعلها أكثر إتقانًا وجمالًا. يتم اصطناع هذه الفعاليات الأسلوبية من مختلف اللغات لإثراء الأسلوب وتحسين قوة التعبير ويوضح المقارنة بين أسلوبية اللغة وموسيقى الموسيقار. تشير إلى أن الأسلوبية تهدف إلى إمتاع المتلقي وإثارة استجابته الجمالية والحسية على غرار ما يفعله الموسيقار بألحانه وأنغامه التي تسر الأذن وتستمتع بها.

بشكل عام، المقصود من الكلام أنه يعبر عن أهمية الأسلوبية في تجسيد الحساسية والتأثير العاطفي للغة وتجميلها وتحسين قدرته، وقد أشارت **ابتسام بوحربيط** إلى مصطلح الأسلوبية بقولها " الأسلوبية هي مصطلح مركب، جذره الأول مأخوذ من كلمة الأسلوب "style" والتي تعني في اللغة الإنجليزية أداة الكتابة على ألواح الشمع، اشتقت من الشكل اللاتيني" stylus" إبرة الطبع "الحفر" والنصف الثاني عبارة عن لاحقة تابعة تختص بالبعد العقلي والموضوعي، ومجموعهما يشكل "علم الأسلوب"[2]. والمقصود به هنا شرح لأصل وتكوين مصطلح الأسلوبية وتوضح أنه يجمع بين الجانب العقلي والموضوعي للتعبير والأدوات المستخدمة في الكتابة والتعبير.

[1] محمد سيف بوفلاقة، نظرية البلاغة في بحث الميزان النقدي تجربة عبد الملك مرتاض نموذجا، مجلة قضايا الأدب، المجلد السادس، العدد الأول، 2021، الجزائر، ص21.

[2] ابتسام بوحربيط، سارة بوزرايب، نحو أسلبة البلاغة العربية في تحليل الخطاب العربي –كتاب نظرية البلاغة لعبد الملك مرتاض أنموذجا–، مرجع سابق، ص9.

المبحث الرابع: جماليات الأسلبة عند عبد الملك مرتاض.

إن جماليات الأسلبة تعبر عن القوة الإبداعية للكاتب وقدرته على التلاعب بالأساليب السردية وتجسيد الشخصيات بأساليب متنوعة وجذابة. حيث تتضح هذه الجماليات من خلال التنوع اللغوي، والوصف المتقن، وتجسيد الشخصيات المتعددة، والإيقاع والتوازن، والتفاصيل الدقيقة، والتوازن بين الحقيقة والخيال. هذه العناصر تعمل سويًا على خلق قصص مشوقة وواقعية تثير اهتمام القراء. بحيث "تعد الأسلبة (Stylisation) إحدى دعائم العلاقات المشحونة بالحوارية إلى جانب المحاكاة الساخرة (Paradie) والسّخرية (L'ironie) والتنويع (Variation)، كما أنها تقنية وظاهرة من الظواهر الكلامية الفنية التي توفر للأعمال الروائية أبعادا جمالية"[1] وتعتبر أيضا "قيام وعي لساني معاصر بأسبلة مادة أجنبية عنه، يتحدث من خلالها عن موضوعه، فاللغة المعاصرة تلقي ضوءا خالصا على اللغة موضوع الأسلبة، فنستخلص منها بعض العناصر ونترك البعض الآخر في الظل"[2] الأسلبة هي تقنية فنية تستخدم في الأعمال الروائية لإضفاء بعد جمالي عليها. تعد الأسلبة إحدى الدعائم الأساسية في العلاقات الحوارية المشحونة، إلى جانب المحاكاة الساخرة والسخرية والتنويع. تساهم الأسلبة في تحسين وتجميل العمل الروائي، حيث تعطيه أبعادًا جمالية. تتطلب الأسلبة وعيًا لسانيًا معاصرًا، وتعتمد على اللغة المعاصرة لاستخلاص العناصر اللغوية المناسبة. بوجود الأسلبة، يتم تحسين تجربة القراء وجعل العمل الروائي أكثر جاذبية وتأثيرًا، فالأسلبة تعد "إحدى الآليات اللغوية التي يتوسلها السارد للتعبير عن خلفية إيديولوجية ومختلف الرؤى والتصورات التي سبديها حول العالم والعوالم حوله"[3]، وباستخدام الأسلبة، ينجح مرتاض في إيصال رؤيته الفنية والفكرية بشكل مبتكر وممتع. يقدم قصصًا روائية تجمع بين التحليل والتأمل، مما يعطي الأعمال الروائية بعدًا جماليًا وعمقًا فنيًا، ومن بين رواياته نار ونور، وادي الظلام، الخنازير، صوت الكهف، وغيرها من الروايات الملهمة.

[1] باهية غنام و مصطفى دراوش، تجليات الأسلبة في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، رواية الورم لمحمد ساري أنموذجا، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 11، العدد الأول، 2022م، ص1236.

[2] محمد منصور، إستراتيجية التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة الشر والتوزيع، الدار البيضاء، ص134.

[3] ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر محمد برادة، ط2، دار الأمان للنشر، الرباط، ص18.

وتتعلق جماليات الأسلبة ليس فالرواية فقط بل في البلاغة أيضا بالجمال والتأثير الذي يتحقق عند استخدام الأساليب البلاغية بشكل متقن وفني. تشمل هذه الجماليات عدة عناصر تؤثر في جاذبية النص وقوته الإقناعية. ومن بين الأدباء والنقاد الذين تحدثوا عن جماليات الأسلبة وأسهموا في فهمها وتحليلها في الأدب والبلاغة العربية **عبد الملك مرتاض** حيث تطرق إلى جماليات الأسلبة من خلال كتابه **نظرية البلاغة،** حيث تذكر **طاطة بن قرماز** في هذا السياق بقولها "يرى عبد الملك مرتاض أن التميز الأسلوبي للظاهرة اللغوية مقرون بالفرادة والخصوصية لذلك لا يمكن للتعبير الأدبي أن يرقى إلى المواصفات الأسلوبية الخاصة حتى يكون الكاتب (قادرا على التحكم العالي في لغته متمكنا من النسج البارع بها واللعب بألفاظها أي متمكنا من صناعة الكلام وتحبيره في درجاته العليا ومستوياته الرفيعة)"[1].

من خلال هذا الكلام يعتبِر **مرتاض** أن التميز الأسلوبي في الظاهرة اللغوية يرتبط بالفرادة والخصوصية.

وبناءً على ذلك، فإن التعبير الأدبي لا يمكن أن يصل إلى المستوى المرغوب من الجماليات الأسلوبية، فيجب أن يكون الكاتب ماهرًا في صناعة الكلام وتنسيقه على أعلى مستوياته ودرجاته الرفيعة. وهذا يعكس استعداد الكاتب وقدرته على التعبير بشكل فني واحترافي في الأدب.

جماليات الأسلبة عند عبد الملك مرتاض ترتكز على استخدام اللغة والتعبير بطرق متقنة ومبتكرة لإيصال الرسالة الفنية بشكل جذاب وجميل. يركز مرتاض على استخدام التجريد والاختصار والتشويق والتوازن في العناصر اللغوية والأسلوبية لإحداث تأثير جمالي على المتلقي، ومن هنا وضحت **بن قرماز** ذلك بأنه ومن هنا يتبني أن من جماليات الأسلبة التي وردت في تفكير عبد الملك مرتاض دعوته إلى توخي طريقة خاصة في توظيف اللغة، فهي وسيلة تعبير يبرز من خلالها الأسلوب المتميز بفضل حيويتها وحسن نسجها، إنها عنوان التفاعل والتعاطي والتأثير، ولعله يقصد بالحيوية توظيف الكاتب أو المرتجل الأساليب التي تحرك وتولع نفس المتقبل والتي منها استخدام أساليب التقابل والتضاد وتوظيف التشبيهات والاستعارات مع العناية باختيار اللفظ المناسب والمعنى الملائم وحسن السبك والتركيب المؤدي إلى الغرض الأسلوبي، لأن اللغة في نظر عبد الملك مرتاض تختفي وراء الأسلوب الذي ينمقها ويزخرفها ويمنحها فاعليتها الجمالية وهو الذي يخرجها كالإخراج التمثيلي بعد إخضاعها لعدة مراحل منها:

[1] طاطة بن قرماز، جماليات الأسلبة في التفكير النقدي عند عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص96.

الكفاءة على استدراجها واستحضارها ثم انتقاء الأحسن منها ورصفها بمهارة فائقة .بهذا الكلام يتناول تفصيلًا لجماليات الأسلبة والتي تم ذكرها في تفكير عبد الملك مرتاض. حيث يتبنى مرتاض فكرة توظيف اللغة بطريقة خاصة تبرز الأسلوب المتميز فيها وتعكس حيويتها واتساقها. إن الأسلوب هو وسيلة للتفاعل والتأثير وتعبير الكاتب عن نفسه. يشير إلى أنه يقصد بالحيوية استخدام أساليب تتفاعل وتحرك المتلقي، ومنها استخدام التقابل والتضاد والتشبيهات والاستعارات، مع اهتمام بالاختيار الدقيق للكلمات والمعاني الملائمة والتراكيب السليمة التي تحقق الهدف الأسلوبي. يروج لأن اللغة تتلاشى وراء الأسلوب الذي يزينها ويجعلها جميلة، ويُعتبر الأسلوب هو المسؤول عن استخلاص اللغة بعد تجاوزها عدة مراحل، بدءًا من استدراجها واستحضارها، ثم اختيار الأفضل منها وتنظيمها بمهارة عالية[1].

[1]ينظر: طاطة بن قرماز، جماليات الأسلبة في التفكير النقدي عند عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص98.

الفصل الثاني:

تحديد البلاغة عند "عبد الملك مرتاض"

المبحث الأول: البلاغة العربية عند عبد الملك مرتاض.

المبحث الثاني: البلاغة الاعجازية

المبحث الثالث: الميراث البلاغي في المفاهيم السيميائية.

المبحث الرابع: الصورة البلاغية من منظور عبد الملك مرتاض.

الفصل الثاني: تجديد البلاغة عند "عبد الملك مرتاض"

المبحث الأول: البلاغة العربية عند عبد الملك مرتاض.

إن **عبد الملك مرتاض** في كتابه **"نظرية البلاغة"** الذي يعد من أهم الكتب التي تناولت البلاغة العربية، قد قام فيه بتحليل الخطاب العربي من خلال منهجه الخاص وقدم فيه عدة مفاهيم وأسس في فهم البلاغة العربية، من بينها:

1. مفهوم البلاغة في كتاب "نظرية البلاغة":

يقدم مرتاض رؤية شاملة للأساس الأول في فهم البلاغة العربية وهو مفهومها، حيث يستكشف جذورها ومبادئها. فيتناول تاريخ البلاغة الطويل منذ أرسطو وحتى الوقت الحاضر، ويلاحظ أنه لا يزال هناك اهتمام كبير بها من قبل الفلاسفة والنقاد العرب والغربيين. فالبلاغة في الغرب كانت جزءًا من الفلسفة، بينما العرب أعدوها ضمن فصاحة اللغة فنرى بذلك في قوله:" ففي حين كان الفلاسفة الإغريق يعدون البلاغة جزءا من الفلسفة، وذلك بحكم أن الذي تناولوها أولا كانوا من الفلاسفة لا من النقاد، فإن العرب، أو طائفة منهم على الأقل كانوا يعدون البلاغة ضربًا من الفصاحة"[1] بحيث يعرف البلاغة بأنها "بلوغ الشيء إلى غايته وكماله"[2] وضرب مثالا على هذا التعريف "إدراك الجارية والغلام إلى سن البلوغ فهما بالغان"[3] والمقصود من هذا المثال أن الجارية والغلام قد بلغا درجة النضج والاكتمال، فالبلاغة عند مرتاض هي الوصول إلى الغاية والكمال.

وقد نجد تعريفات عديدة للبلاغة غير أن الجاحظ تميز بهذا التعريف في قوله: "وقال بعضهم –وهو أحسن ما اجتبناه ودوناه– لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة، حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[4] والمغزى من هذا الكلام هو أن البلاغة

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، ص18.

[2] المرجع نفسه، ص17

[3] المرجع نفسه، ص17.

[4] أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص115.

الحقيقية لا تكمن فقط في جمالية اللفظ والتعبير، بل تكمن في أن يكون المعنى الذي يحمله اللفظ هو الذي يصل إلى قلب السامع ويؤثر فيه.

يذكر كذلك مرتاض أنه قد حدث توسع في البلاغة فوصل إلى الاستعارات والتشبيهات والتأنيق في الأسلوب ومن الحقيقة إلى المجاز، ومن تقديم وتأخير، فخرجت البلاغة على المعتاد بالسعي لاستخدام جميع الزخارف البلاغية التي أوردها السكاكي وغيره من العلماء العرب، إن مرتاض يعامل مصطلح "البلاغة" بشكل شامل وشمولي، فيتناول العديد من جوانب البلاغة، بدءاً من تعريفها ومفهومها، وصولاً إلى دراسة أساليبها وأدواتها وتطبيقاتها.

ونجده مهتما ولحد كبير بالبلاغة القديمة العربية والغربية لاسيما من منظورها الفلسفي، واستحضاره لأرسطو وانجازاته البلاغية الفلسفية في قوله "حقا، إن الأمم الكبيرة كلها اشغلت بالبلاغة، وخصوصا الفلاسفة الإغريق، وأخصهم أرسطو بما نظر وابتكر في الشعريات والبلاغيات منذ قريب من خمسة وعشرين قرنا"[1]،و يرى رغم كل هذا الاختلاف بين العرب والغرب حول البلاغة إلى أنها تظل متقاربة ومتداخلة، إلا أنه لم تعجبه فكرة الابتعاد عن الجهود البلاغية للعرب القدامى كالجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"، وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" وتسليط الضوء فقط على أرسطو ومن سبقوه، حيث يعبر مرتاض حول هذا الموضوع عن استيائه من عدم تقدير العرب لإنجازاتهم البلاغية وعدم إعطائها الأهمية التي تستحقها. ويؤكد على أن اللغة العربية والتراث الأدبي العربي لديهما إسهامات هامة في مجال البلاغة، ويجب أن يتم الاهتمام بها ودراستها بشكل متساوٍ مع إسهامات الأدباء والفلاسفة الأجانب، وأن يتم دراسة بلاغة العرب القدماء بشكل علمي ومنهجي، والتركيز على الأساليب البلاغية التي ابتكرها العرب، مما يمكن أن يساهم في إثراء المعرفة البلاغية وتطويرها.

ونجده مرتاض يذكر الجاحظ ومتأثرا به بشكل كبير وبإنجازاته البلاغة والنقدية، وذلك يرجع إلى العديد من الأسباب من بينها:

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص19.

- الجاحظ كان من أوائل من قاموا بدراسة البلاغة بشكل علمي، وقام بتأسيس المفاهيم الأساسية التي تتعلق بالبلاغة وتحديد قواعدها، وهذا ما اعتمده مرتاض في كتابه. في قوله "ولأول مرة في تاريخ المعرفة العربية نجد كاتبا يستعرض أهم التعريفات التي كانت متداولة لمفهوم البلاغة، في نوادي البصرة وبغداد في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، والتي كانت تنسب إلى الأمم التي سبقت العرب إلى الحضارة والفكر"[1]، فإن مرتاض يرى في الجاحظ مصدر إلهام وتأثير كبير في كتابه "نظرية البلاغة"، حيث يتبع فيه نهج الجاحظ في التحليل والتفسير والتطبيق العملي لمفاهيم البلاغة، مما جعل من هذا الكتاب إحدى أهم المراجع في مجال البلاغة والأدب العربي، فنجد مرتاض يحاول في كتابه "نظرية البلاغة" إعادة النظر في البلاغة العربية وتقدير دورها في التراث الأدبي واللغوي العربي، وتوضيح الأهمية التي تحملها في تطوير اللغة والتعبير، وذلك من خلال تطوير أساليب ومفاهيم البلاغة الحديثة وتطبيقها على النصوص العربية القديمة والحديثة.

أشار مرتاض كذلك في مطلع كتابه إلى إعادة النظر في مفهوم البلاغة وتحسين مناهج التعليم العربي، حيث أعلن بذلك عن هدفه الرئيس من تأليفه، وهو تعليم البلاغة بشكل مختلف عما تم تدريسه سابقًا، الخولي رفض تعليم البلاغة وتدريسها بالطريقة التي تقسمها إلى ثلاثة علوم مستقلة: المعاني والبيان والبديع، وتفصلها عن النص الأدبي. رأى أن هذا التقسيم يقلل من وحدة البلاغة ويجعلها غير قادرة على تنمية الذوق الأدبي للمتعلمين[2]. حيث أوضح أن تدريس البلاغة يتطلب اتباع خطوات واضحة لتحقيق أفضل النتائج. وعلى الرغم من عدم تقديمه لخطة تدريس محددة، إلا أنه أكد على وجود أساسيات يجب مراعاتها في عرض درس البلاغة[3]. ومن هنا نرى أن أمين الخولي قد ركز على تأسيس الدرس البلاغي بأسس فنية صحيحة، مستفيدًا من التقدم العقلي والعملي والاجتماعي في الحياة. يعني ذلك أن الدرس البلاغي ينبغي أن يكون متجذرًا في الواقع ويستفيد من تجارب الحياة اليومية وتطوراتها.

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص22.

[2] ينظر: أمين الخولي، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م، ص238.

[3] المرجع نفسه، ص243.

تلك الأسس الفنية تساعد في بناء درس شامل يشمل الجوانب النظرية والتطبيقية ويعزز فهم البلاغة وتطبيقها بشكل أكثر فعالية وإتقانًا.

وقد لاحظ مرتاض أيضا أن مفهوم البلاغة قد تكرر بشكل مبالغ فيه في كتب المؤلفين السابقين، وقرر أن يأتي بالجديد وتغيير مناهج التعليم العربي التقليدية. ونرى ذلك بقوله في مقدمة كتابه: "لم نرد من وراء كتابته، وذلك انطلاقا من عنوان نفسه، إلى تعليم البلاغة التي كرر العلماء المتأخرون ما انتهى إليه العلماء الأولون، فشحنوا كتبهم بالشواهد المتعلقة من أصول نصوصها، فأفسدوا البلاغة"[1] ، تسعى رؤية مرتاض إلى تقديم نصوص أدبية أنيقة وجميلة، تكون سهلة للمتعلمين في استيعابها وتذوقها، وفي نهاية المطاف حفظها واستخدامها في خطبهم وكتاباتهم. إنه يروج لنهج جديد يجمع بين العلم والفن، حيث يعتبر البلاغة فنًا يتطلب الإبداع والتجديد.

ومن الملفت أن مرتاض لم يتطرق لتاريخ البلاغة بالتفصيل، إذ قد كتب عن ذلك "شوقي ضيف" في كتابه المشهور "تطور وتاريخ". يبدو أن مرتاض يسعى إلى التركيز على جوانب جديدة ومبتكرة في فهم البلاغة وتعليمها.

إن مرتاض قد حث الباحثين على تطوير البلاغة الجديدة، بحيث تصبح ذات فائدة في فهم وسلوك الأفراد في مختلف جوانب حياتهم الثقافية والاجتماعية. فالبلاغة عنده هي التعبير الفعّال والجميل والموجز الذي يؤثر في النفس ويكون أداة تعبيرية تعمل على تعزيز الفهم والاستيعاب.

تعتبر البلاغة عند مرتاض مهارة تعبيرية يتقنها الأفراد للتعامل مع الآخرين، سواء كان ذلك من خلال الكتابة أو الخطابات. يهدف البلاغة إلى تبسيط التعبير وجعله أكثر فهمًا وتناول المفهوم بأقل عدد من الكلمات، وذلك من أجل تسهيل الفهم والاستيعاب[2].

باختصار، يعتبر مرتاض رائدًا في مجال دراسة البلاغة، حيث يسعى إلى إحداث تغيير جذري في مناهج التعليم العربي وتعزيز قدرة الطلاب على التعبير الأدبي بشكل أفضل. إن تركيزه على التجديد والإبداع يجعله مصدر إلهام للأجيال القادمة في عالم البلاغة والتعبير الفني.

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص9

[2] ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص23.

2. البيان:

يذكر عبد الملك مرتاض الأساس الثاني لفهم البلاغة العربية في كتابه "نظرية البلاغة" ألا وهو البيان، فيعرف الجاحظ البيان بأنه "اسم جامع كل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون ضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع، وإنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1] ومن هذا التعريف يشير الجاحظ إلى أن البيان أو اللفظ هو الأداة التي تكشف عن المعنى وتزيل الستار عنه دون التأثير على الضمير. فإذا تم استخدام البيان بشكل صحيح، يمكنه أن يفهم السامع حقيقة المعنى ويتأثر بها، بغض النظر عن نوع البيان أو وسيلة التوصيل المستخدمة. المغزى من النص هو أن الهدف الأساسي للبيان هو تحقيق التفاهم وتوضيح المعنى، وأي وسيلة تساهم في تحقيق ذلك فإنها تعتبر بيانًا صحيحًا في هذا السياق.

وقد تطرق الجاحظ في قسم البيان إلى أنواع الدلالات: "اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى النصبة"[2].

1-اللفظ: تعتبر القدرة على الكلام والتعبير عن الأفكار والمشاعر عن طريق الألفاظ من بين الدلالات الخمس للمعاني، وهي الخاصية الأساسية التي تميز الإنسان. إن القدرة على التحدث واستخدام اللغة تمكن الإنسان من التواصل مع الآخرين وتبادل الأفكار والمعلومات. تعد اللغة وسيلة تعبير قوية تمكن الإنسان من توصيل أفكاره ومشاعره بشكل دقيق ومفهوم. وبفضل هذه القدرة اللغوية، يمكن للإنسان التواصل الفعال وبناء العلاقات الاجتماعية وتطوير المعرفة والثقافة ونرى ذلك في قول الجاحظ "البيان بصر والعيّ عمى"[3] فنجد الجاحظ يعتبر البيان باللّفظ كالبصر والعكس، حيث يبدو

[1] أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ص76.
[2] المرجع نفسه، ص75.
[3] المرجع نفسه، ص77.

أن الذين ينتقدون الكلام يشبهون العميان الذين لا يرى بصرهم. وفي سياقٍ آخر، يُنظر إلى البيان كنتاجٍ للمعرفة، حيث يُعتبر مترجمًا وعمادًا للعلم.

2- الإشارة: ويذكر الجاحظ بهذا الخصوص "وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسيّرها بعض النّاس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، واولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص وليجهلوا هذا الباب البتة"[1] وضرب الجاحظ هنا مثالا في قول الشاعر:

أشارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أهْلِها إِشَارَةَ مَذعورِ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

فَأيْقَنْتُ أنَّ الطَرْفَ قَالَ مَرْحَباً وَأهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبِ المُتَيَّمِ

يُظهر الجاحظ في هذا البيت أهمية الإشارة وأن المتكلم في بعض الحالات لا يحتاج إلى الكلام، بل يمكنه أن يعتمد على الإشارة وحدها لتعويضه.

3- الخط: وقد تطرق الجاحظ إلى الآية القرآنية التي تتحدث عن الخط، في قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (سورة العلق: الآية 3) .ويذكر أيضا بهذا الخصوص أن "اللسان مقصور على القريب الحاضر، فإنّ مطلق في الشاهد والغائب"[2] والمفهوم من هذا أن يكون لسان الإنسان مقصورًا على الأمور القريبة والحاضرة فقط، أما فيما يتعلق بالأمور الشاهدة والغائبة فيمكن أن يصمت تمامًا.

4- العقد: وهو نوع من البيان بالحساب، ويذكر الجاحظ الآية القرآنية في قوله عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**﴾ (يونس الآية رقم 5) فيقول الجاحظ: "ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدّنيا لما فهموا عن الله عزّ وجل معنى الحساب في الآخرة وأنّ في عدم اللفظ، وفساد الخط، والجهل بالعقد فساد جل النعم"[3] ويتضح من كلامه أنه لولا معرفة الناس بمفهوم الحساب والتقدير في الحياة الدنيا، لما فهموا أهمية الحساب والتقدير

[1] أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص80.

[3] ينظر: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ص80.

من جانب الله تعالى في الحياة الآخرة. ويشير الجاحظ إلى أن عدم التعبير بالكلمات المناسبة، وفساد الاتصال الكتابي، والجهل بالتزامات العقود يؤدي إلى فساد العديد من النعم والخيرات.

5- النصبة: هي ما توحي الأشياء لعقل الناظر المتأمل، فالجاحظ يراها الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير يد[1].

وقد تناول مرتاض في كتابه أيضا أبرز العلماء الذين تحدثوا عن مفهوم البيان كأمثال الرُماني الذي يعرفه بقوله "البيان هو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك"[2]وانطلاقا من هذا التعريف يصنف مرتاض البيان في ثلاث مكونات وهي:

1-القدرة على إحضار ما يظهر به تمييز الشيء من الشيء : أو المعنى من المعنى، حيث يعتبر المعنى أساس البيان، حيث يحمل الفكرة أو المعلومة التي يريد المتكلم إيصالها إلى المتلقي، وذلك بالاستعانة بألفاظ اللغة للتعبير بها عما هو كامن في قوة النفس، و قد ضرب مرتاض مثالا "وكنا ونحن صغار نسمع من الفلاحين وهو يسخرون من شخص عيي محروم سئل بالصوت المنادي، يوم ضباب كثيف، عن دأبة شردت لأهلها، فما كان جوابه إلا أن هز رأسه ذات اليمين وذات الشمال ! وكان الناس يشاهدونه وهو يهزهز رأسه إشارة لهم على عدم رؤيته الدابة الضالة"[3] فالرجل في المثال قد هزَّ رأسه إشارةً للإجابة على السؤال، وهي إشارةٌ غير مباشرةٍ ولكنها تنقل المعنى المطلوب بطريقة فعّالة، حيث يُظهر هنا أهمية المعنى كمكونٍ من مكونات البيان، والتي تعتبر مجازًا من الإشارات غير المباشرة، والتي تعد من أهم أنواع المجاز في اللغة العربية، في حين يتم استخدام هذا المثال لإظهار قدرة اللغة العربية على التعبير عن المعاني بأكثر من طريقة، وأن الاستخدام المناسب للأدوات اللغوية يمكن أن يحسن من فهم البيانات والتواصل بين الأفراد في المجتمع.

2-تمييز الشيء من غيره في الإدراك: بحيث يذكر مرتاض بأن الرماني يعتبر التمييز من الأمور الأساسية في الإدراك والتفكير، ويعني التمييز في الإدراك قدرة الإنسان على التفريق بين الأشياء وتمييز

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص80.

[2] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تصحيح عبد العليم، مكتبة الجامعة الملية الإسلامية، 1934، ص26.

[3] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص31

كل شيء عن غيره من الأشياء المشابهة، حيث يجب على الخطيب أن يميز المفردات والمعاني في بيانه وإيصالها بطريقة فعالة وواضحة للمستمعين، وبهذا يصل المستمعون إلى فهم الرسالة بشكل صحيح ودقيق. ويصرب بذلك مثالا "تمييز الأسود من الأسود في الألوان، وتمييز الرجل من المرأة في الأجناس، وتمييز الصغير من الكبير في الأسنان، وكل ذلك يتبلور في دلالة الكلام المبين، وليس في مطلق الكلام"[1] إن هذا المثال يشير إلى أن الدلالة والمعنى لا يأتيان من الكلام بحد ذاته، وإنما تكمن في القدرة على التمييز والتفريق وفهم العوامل والسياقات المحيطة. إذ أنه يركز على أهمية الدلالة والمعنى الموجود في الكلام بدلاً من مجرد الكلام بذاته.

ويعتبر الرماني التمييز من الأمور الأساسية في البيان الشعري أيضًا، حيث يمكن للشاعر التعبير عن معانٍ متعددة في قصيدته بواسطة الكلمات والألفاظ المختلفة، ويجب عليه أن يتمكن من تمييز هذه المعاني وتوظيفها بشكل صحيح لإيصال الرسالة المرادة بوضوح ودقة.

3- الإدراك: يكاد علماء النفس يتفقون على مفهوم واحد للإدراك وهو أنه محاولة فهم العالم من حولنا من خلال تفسير المعلومات القادمة من الحواس إلى الدماغ الإنساني. والفهم هنا ينطوي على التفسير والترميز والتحليل والتخزين والاستجابة الخارجية عند الحاجة، ومن بين التعريفات نجد تعريف ستيرنبرغ (Sternberg) الذي يعرفه على أنه العملية التي يتم من خلالها التعرف على المثيرات الحسية القادمة من الحواس وتنظيمها وفهمها[2]. فيصف ستيرنبرغ عملية الإدراك بأنها العملية التي تمكننا من التعرف على المحفزات الحسية التي نستقبلها من البيئة المحيطة، وتنظيمها وفهمها.

ويشير مرتاض إلى دور الإدراك في البيان والبلاغة. ويتحدث عن وظيفتين رئيسيتين للإدراك، حيث يستخدم في كل منهما وسيلة للوصول إلى شيء آخر والتعرف عليه. وهاتان الوظيفتان هما:

أولا- القدرة على التفكير والتحليل والاستنتاج التي تتمتع بها العقول البشرية تمكننا من استخدام قوة الإدراك للوصول إلى مستويات أعمق من الفهم والتمييز، إذ يقول مرتاض: "تتخذ لها سبيل الوسيلة

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص 32

[2] ينظر: عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي -النظرية والتطبيق-، دار المسيرة، ص101.

المفضية إلى شيء آخر والمتوصلة إليه بحكم ما فيها من قوة العقل المميزة وخاصية الملكة المستعملة"[1]، بمعنى آخر، فإننا عندما نستخدم القوة العقلية المميزة، نتمكن من معالجة المعلومات وتحليلها بشكل منهجي ومنظم. حيث نستخدم المنطق والتفكير النقدي لفهم العلاقات بين الأفكار والمفاهيم وتحديد المميزات والخصائص الفريدة. بفضل هذه القدرة، نستطيع التأمل في المعلومات بصورة أعمق وأكثر تفصيلاً والوصول إلى فهم أكثر شمولية، أما بالنسبة لخاصية الملكة المستعملة، فهي تشير إلى القدرة على استخدام قوة الإدراك بشكل فعّال ومتقن. إذ يعتمد الاستفادة الكاملة من القوة العقلية على القدرة على توجيهها وتوظيفها بشكل صحيح ومناسب. يتطلب ذلك التركيز والانتباه وتنظيم الأفكار واستخدام الأدوات والتقنيات المناسبة لتعزيز وتطوير الإدراك.

ثانيا– تتخذ قوة الإدراك سبيلاً يتوجه تلقائياً نحو الهدف، وذلك عن طريق استخدام الألفاظ المحملة بالدلالات. تقوم قوة الإدراك بتخزين المعاني المتنوعة في مكان يمكن الوصول إليه، حتى يمكن استخدامها في الحاجة المستقبلية أو للبقاء محفوظة حتى الوقت المناسب، وهذا ما أشار إليه مرتاض "تتخذ لها سبيلا تتوجه تلقاء الغاية، وذلك على نحو يصبح في الموئل الذي تؤول إليه كل المعاني المنهالة بواسطة الألفاظ المشحونة بالدلالات، فتتخزن فيه لتثبت منه تارة أخرى، إن اقتضت الحاجة ذلك، أو لتظل مخزنة فيه إلى حين"[2]. وبهذه الطريقة، يتم تحقيق التواصل الفعال ونقل المعاني بدقة ووضوح. تعتبر قوة الإدراك وسيلة قوية للتعبير والتواصل، وتمكننا من تخزين واستعمال المعرفة بطريقة منهجية ومؤثرة في التواصل مع الآخرين.

وبذلك فإن استخدام العقل المميز وخاصية الملكة المستعملة، نستطيع توجيه قوة الإدراك نحو الاستكشاف والاكتشاف وتوسيع آفاق المعرفة. تصبح قوتنا العقلية وسيلة مفضية لفهم العالم والناس والظواهر بشكل أكبر وأعمق.

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص32.

[2] المرجع نفسه، ص32.

وبما أن الإدراك يعتمد على قوة العقل المميزة، فإنه يعد جزءًا أساسيًا في البيان والبلاغة. فهو يساعد على تمييز الأشياء وفهمها، ويساعد على استخدام الألفاظ المناسبة والتعابير المجازية والمناسبة لتوصيل الفكرة بشكل فعال.

على الرغم من أن مرتاض قد قام بالاعتماد على تعاريف مختلفة لتحديد مفهوم البلاغة وتوضيح أهميتها اللغوية والمعرفية في جمالية اللفظ والمعنى، إلا أنه يرى أن البلاغة ليست مجرد مفهوم نظري، بل تمتد إلى حاجة الناس إليها في الحياة اليومية. حيث أنهم يستعينون بالبلاغة لتحقيق أغراضهم المختلفة في الحياة، مهما كانت مكانتهم الاجتماعية، ونرى مرتاض في هذا الشأن يقول "البلاغة ليست شأنا موقوفا على الفصحاء الأنبياء من المثقفين والمتعلمين وحدهم، ولكنها تمتد إلى الاستعمالات في المحاورات اليومية، والآداب الشعبية، عبر كل اللغات الإنسانية، وعبر كل العصور"[1]. ويعتبر مرتاض بذلك أن البلاغة مرتبطة بالأسلوب واللغة بشكل عام. وبالتالي، أن البلاغة تعتبر وسيلة تواصل تتيح التفاهم بين الطرفين وتؤثر فيهما بشكل واقعي.

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص273.

المبحث الثاني: البلاغة الاعجازية:

يشير مرتاض في الفصل الثاني من كتابه المعنون بـ "أثر القرآن في تأسيس نظرية البلاغة" إلى أن الآية التي تقول ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا لْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (سورة الإسراء: الآية 88)، تعد تحديا أن يأتوا بسورة من مثل القرآن. وتعتبر الأساس الرئيسي للتساؤلات حول سر الإعجاز القرآني وتحديه، وهي بداية البلاغة العربية بدءا بالقضايا القرآنية والأسلوبية والبلاغة.

إن المسألة الإعجازية قد ظهرت قبل تأسيس البلاغة العربية، وقد أوضح مرتاض بأن علم البلاغة قد تم فصله عن النص القرآني في العصور الأولى، حيث كان يُعتبر جزءًا من علم النحو. ففي البداية كانت الاهتمامات كلها على قواعد الإعراب والعروض والتفعيلات. يقول مرتاض في هذا الشأن: "نظرية الإعجاز التي شغلت الفكر الإسلامي طوال القرون الأولى من عهد الحضارة العربية الإسلامية الزاهية، فلم يفكر أحد من أوائل البلاغيين في تأليف كتاب، إذا استثنينا عبد الله بن المعتز في كتابه البديع في قواعد البلاغة بمعزل عن التعرض للنص القرآني في إعجازيته"[1]. والمقصود بكلامه هنا أنه في ذلك الوقت، لم يفكر أحد من البلاغيين الأوائل في تأليف كتاب متخصص في البلاغة القرآنية وإعجازها. باستثناء كتاب عبد الله بن المعتز "البديع في قواعد البلاغة". ويجدر بالذكر أن هذا الكتاب لم يتناول تحليل الإعجاز اللغوي في النص القرآني بشكل خاص.

تحدث مرتاض في هذا الفصل أيضا عن البلاغة الاعجازية عند كل من الرماني والخطابي والباقلاني، فوضع الرماني سبعة وجوه للإعجاز، وقد تمثل هذا في قوله: "وجوه إعجاز القرآن من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصِرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة وقيامه لكل معجزة"[2].

1- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة: ويُشير ذلك إلى أن العرب كانوا متميزين في الكلام والبلاغة، وكانوا يتمتعون بالفصاحة، وقد أظهروا في ذلك ما لم تظهره الأمم الأخرى. ومع ذلك،

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص95.

[2] محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ط3، دار المعارف بمصر، ص75.

رغم شدة حاجتهم إلى الاعتراض على القرآن، إلا أنهم لم يقموا بذلك. يُذكر في النص أن القرآن أثّر في أحلامهم وعباداتهم وعاداتهم، ولكنهم لم يجدوا مخرجًا للخروج من هذا الوضع، ولذلك لم يعارضوا القرآن. تُستخدم مقارنة الماء والعطش للإشارة إلى أنهم لم يتمكنوا من مقاومة القرآن بسبب عجزهم وعدم توفر خيار آخر لهم[1].

2- التحدي للكافة: معناها أنه بسبب تحدي القرآن الكريم لهم في مواضع مختلفة، انسحبوا وخفّوا عن المنافسة وتجنبوا التحدي والتصدي له. وبعد التحقيق والتفكير، يُرجع هذا الانسحاب والتراجع إلى بلاغة الكتاب العزيز، حيث يكون تحدي القرآن لهم وانسحابهم من مواجهته دليلاً على أنه يتمتع بأعلى درجات البلاغة والإبداع اللغوي.

3- الصرفة: المقصود من هذا أن همم العرب انصرفت عن معارضة القرآن، ومن الواضح أن الرماني لا يتفق مع النظرية التي تجعل الصرفة وجهًا من جوانب الإعجاز دون البلاغة. بل يتفق مع وجهة نظر الجاحظ الذي يقول الرماني أنه يعتبر وجهًا من وجوه الإعجاز التي تظهر منها العقول. يشير هذا إلى أن الإعجاز في القرآن ليس مقتصرًا على البلاغة وحدها، وإنما يشمل أيضًا الصرفة وجوانب أخرى يمكن للعقول أن تدركها وتفهمها.

4- البلاغة: يُشير إلى أن هناك تنوعًا في مستويات الكلام البديع. ففي أعلى مستوى، نجد القرآن الكريم كأفضل صورة للكلام البديع. وفي المستوى المتوسط، يتواجد كلام البلغاء في شعرهم ونثرهم. وهناك أيضًا أشكال أخرى للكلام البديع تقع في مستويات أدنى من ذلك.

5- وأما الأخبار الصادقة عن الامور المستقبلة: يعد وجهًا من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم. فالتحقق والوقوع لهذه الأحداث المتنبأ بها في القرآن يشكل دليلًا قاطعًا على أن القرآن يأتي من علام الغيوب، أي الله العالم بالغيب. هذا الوجه من الإعجاز يعزز إيماننا بالقرآن ويثبت صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكر الرماني بعض ما جاء في كتاب الله من ذلك ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ**

[1] ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، ص109.

دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: الآية 7) وفي قوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾** (سورة الفتح: الآية 27).

6- نقض العادة: تغيير القواعد والأساليب المعروفة واستخدام أسلوب جديد ومبتكر في صياغة القرآن الكريم.

7- قياسه بكل معجزة: يُشير الرماني إلى أن المعجزات التي قام بها الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، مثل انشقاق البحر وتحول العصا إلى حية وإحياء الموتى وشفاء الأعمى والأبرص، كانت تعتبر حوادث غير مألوفة وخارقة للطبيعة للبشر. وبالمثل، يعتبر القرآن الكريم من معجزات البشرية؛ إذ يتمتع بطبيعة معجزة في تنزيله ومضمونه وقوته وتأثيره على الناس[1].

وذكر مرتاض في كتابه أن أبا الحسن الرماني يعد من أسبق البلاغيين العرب في تأسيس علم البلاغة، و الذين جاءوا من بعد نقلوا منه على الرغم من أنهم لم يحيلوا عليه الاسم ولا ذكر عنوان كتابه كما فعل الباقلاني ذلك، و قد استاء مرتاض من هذا السلوك بقوله: "كما فعل أبو بكر الباقلاني حين استنكف من ذكر اسمه وكتابه، وهي سيرة بشعة في سلوك كثير من العلماء الأقدمين الذين كانوا يهوون أن يلغي بعضهم بعضا، ويشن الغارة بعضهم على كتب بعضهم الآخر، دون إحالة عليه ولا تعيين لمصدر كتابته"[2]، وعلى حسب ذكر مرتاض فإن الرماني هو أحد أكبر المؤسسين للبلاغة الإعجازية، حيث صنف البلاغة إلى ثلاث طبقات وهي "بلاغة القرآن، ووسطى وهي دون بلاغة القرآن من روائع البيان البشري، ثم دنيا وهي ما كان دون ذلك من مسترذل الكلام"[3]. أي المقصود هنا أن هذا التصنيف يعكس درجة التميز والتأثير في البيان، حيث تكون بلاغة القرآن الكريم على رأس الهرم، تليها بلاغة وسطى، ثم بلاغة دنيا، وهي كالتالي:

1. **بلاغة القرآن:** تشير إلى البلاغة الفائقة والتميز الفريد الذي يتمتع به القرآن الكريم في بيانه وتعبيره. إن القرآن الكريم يعتبر قمة البلاغة والإعجاز اللغوي، ويعتبر المرجع الأساسي في فهم

[1] ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، ص110.

[2] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص97.

[3] المرجع نفسه، ص98.

ودراسة البلاغة العربية. وكما أكد ذلك أبو بكر الجصاص حين قال: "وقد علمنا أن القرآن في أعلى طبقات البلاغة فجائز أن يكون التحدي للعجم واقعا بأن يأتوا بكلام في أعلى طبقات البلاغة بلغتهم التي يتكلمون بها"[1]. ومثال ذلك في قوله تعالى: قوله –تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ (سورة الإسراء: الآية 24)، وهنا تشبّه الآية الكريمة الذّلّ بالطّائر ذو الأجنحة، وكأنّ الآية تُريد من المؤمن أن يكون في برّه وخضوعه لوالديه كالطّائر الحنون الذي يُرفرفُ بجناحه عليهما.

2. **بلاغة وسطى**: تشمل الأعمال الأدبية والخطابية التي تتمتع بجودة وتميز في البيان.
3. **بلاغة دنيا**: تمثل هذه الطبقة الأعمال التي قد تكون بسيطة أو غير متميزة في البيان، وتعبر عن كلام عادي وبسيط دون التميز الكبير في البلاغة.

ثم ينتقل مرتاض إلى تعريف البلاغة عند الرماني في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" إذ عرفها بأنها "ليست بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره، ونافر متكلف، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ"[2]، وبذلك فالبلاغة عند الرماني إيصال المعنى إلى المتلقي في أحسن صورة ممكنة من نسج الألفاظ، وهكذا تتجسد النظرية البلاغية عنده في نهاية الأمر.

وقد كان الرماني أول من حصر مكونات المسألة الإعجازية في عشرة مكونات، وهي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان[3].

وقد توقف مرتاض عند أحد المكونات ألا وهو الإيجاز، لكون أن كل من الرماني، والخطابي، والجرجاني والباقلاني قد استشهدوا في هذا الباب بنفس الآيات القرآنية.

ومن أمثلة الإيجاز قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ (سورة الواقعة: الآية 19)، في وصف خمر الجنة فجمع عيوب الخمر في الدنيا، مثل الصداع وفقدان العقل وإهدار المال

---

[1] أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، أحكام القرآن، تح: محمد صادق قمحاوي، دار إحياء الكتب العربية، 1992م، ص271.

[2] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص99.

[3] المرجع نفسه، ص100.

ونفاد الشراب. ويشرح معنى قوله تعالى "لا يصدعون عنها"، حيث يعني أن رؤوسهم لا تتأثر بالصداع الذي يحدثه خمر الدنيا. ويمكن أن يكون المقصود أيضًا أنهم لا ينفصلون عنها، أي لا يفقدون لذتها بسبب أي أسباب، مثلما يفقد أهل الخمر الدنيا لذتهم بسبب أنواع مختلفة من الفصل.

ومعنى قوله تعالى "ولا ينزفون" يعني أنهم لا يفقدون عقولهم بسبب سكرهم، على غرار نزف الشارب، عندما يفقد الشخص عقله. ويشير إلى أن "نزف" هنا يعني خروج الماء تدريجيًا، كما في حالة سحب الماء من البئر بشكل تدريجي.

أما بالنسبة إلى البلاغة الإعجازية عند الخطابي فإن مرتاض قد تحدث عنه بعد الرماني نظرا للترتيب الزمني لا غير، وهنا يلمح مرتاض أن كل من الرماني والخطابي والباقلاني، وعبد القاهر الجرجاني، وبالإضافة إلى الجاحظ قد انطلقوا من أسس واحدة، وذلك باعتمادهم على القرآن الكريم وبآياته التي توحي بالغيب، والآيات التي تحدى الله عباده بهم، وأنهم لن يأتوا بمثله شيئا، وقد قرر الخطابي أن يقسم البلاغة إلى ثلاث طبقات مثله مثل الرماني ولكن بألفاظ مختلفة، في قوله "إن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التباين متفاوتة:

فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه؛

والقسم الثاني أوسطه وأقصده؛

والقسم الثالث أدناه وأقربه؛ فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة".[1]

وهنا يقارن مرتاض كلام الرماني مع كلام الخطابي في قضية تقسيم طبقات البلاغة ويرى التشابه الكبير الحاصل بين التعريفين والتصنيفين، واستعمالهما لنفس الشواهد القرآنية، مما يبقى مرتاض في حيرة معرفة من ألف كتابه أولا!

أما بالنسبة للبلاغة الإعجازية عن الباقلاني، فتحدث مرتاض عن تلخيص شوقي ضيف لكتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني للتعرض إلى المسألة الإعجازية.

ومن خلال الكتاب أراد مرتاض التوقف عند ثلاث مسائل ألا وهي:

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص107.

1- انتقاد شديد للجاحظ: وقد ذكر مرتاض هي هذه المسألة عن تهجم الباقلاني على الجاحظ، دون أن يكون بينهما خلاف، وكل هذا أن الجاحظ قد تفوق على كل من الباقلاني والرماني والخطابي في تناول المسألة الإعجازية، فكانوا الناس معجبين به ومقدرين له، ولكن الباقلاني لكي يبرز كتابه "إعجاز القرآن"، اتخذ وسيلة زحزحة الجاحظ من مكانه لكي يلاحظه الناس، وفي هذا الشأن يقول: "وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكتشف عما يتلبس في أكثر من معنى"[1]، ومن الغريب أنه بعد عشرة قرون يأتي شوقي ضيق فيحكم على الباقلاني كما فعل مع الجاحظ مسبقا فيقول: "لم يستطع أن يصور شيئا من الأسرار، إذ ظلت الفكرة عند غامضة، وظلت مستورة في ضباب كثيف"[2]، فهنا مرتاض يتفق مع شوقي ضيف في الدفاع عن الجاحظ وأن البقلاني لم يأتي بالجديد بل كرر ما أوجده الأولون في المسألة الإعجازية.

2- إهماله لذكر الرماني حين كان ينقل من كتبه صراحة: يعبر مرتاض هنا عن استياءه بخصوص ما تحدثنا عنه مسبقا كون الباقلاني قد نسب أعمال الرماني إليه، ونقلها دون أن يذكر يشير إلى الرماني في شيء، لا باسم أو عنوان، كما يقول مرتاض بهذا الشأن "لقد اغتدى معروفا لدى المتخصصين في القضايا البلاغية والإعجازية هذه السيرة التي سلكها أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في سطوه على عمل الرماني في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" حيث قرر أن البلاغة قسام ثم تحدث عن كل قسم من هذه الأقسام مطبقا أثناء ذلك من الآيات القرآنية فنقله دون أن يحيل عليه لا بالاسم أو بعنوان الكتاب"[3].

3- سوء توفيقه في الموازنة ما بين الشعر والقرآن: يلح مرتاض في هذا الشأن أن الإعجاز القرآني يجب أن يُعالَج في إطاره الخاص وأن يُدرَس وفق المنهجيات البلاغية والتفسيرية المناسبة. لا يجوز مقارنة الشعر الجميل بالقرآن الكريم ومحاولة الموازنة بينهما، ونرى ذلك في قوله "إن إعجازية القرآن يجب أن تعالج في إطارها فلا تخرج عنه، وما دام قد ثبت أن العرب عجزت أن تتحدى القرآن فتأتي بسورة مثله، والشعر الجميل يجب أن يظل جميلا في إطاره وموقعه، ولا يجوز موازنة أدب دنيوي مدنس، بأدب إلهي

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص110.

[2] المرجع نفسه، ص110.

[3] المرجع نفسه، ص125.

مقدس، فالمنطلق الذي انطلق منه الباقلاني كان في أصله غير سليم"[1]. ونفهم من هذا الكلام أن القرآن يعتبر كلاما إلهيا مقدسا ومستوى عالٍ من الإعجاز، في حين يُعتبر الشعر كتابة بشرية تخضع لأبعاد وقيود مختلفة.

بالنسبة للباقلاني، على حسب كلام مرتاض فإنه لقد أخطأ في توفيق الموازنة بين الشعر والقرآن في بعض آرائه، حيث قد يكون قد أولى تفضيلًا غير متوازن للشعر على حساب القرآن أو قد أساء فهم بعض الأساليب البلاغية في القرآن. لذا، ينبغي أن يُنظر إلى آرائه ومقترحاته بحذر ويتم التحقق منها وتقييمها بناءً على الأدلة البلاغية والتفسيرية السليمة.

فقد ركز الباقلاني، على الشعر كنموذج، حيث استخدمه ليبني نظريته حول التفاوت بين القول البشري والقول الإلهي. ونتيجة لذلك، لخص إلى أن البيان القرآني، الذي يتجلى في طريقة أسلوبه الفريد، لا يمكن مقارنته بأي طريقة أخرى أو يشابهها في البناء، ونرى ذلك في تحليله لقصيدتين الأولى لامرئ القيس ومعلقته التي مطلعها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

والثانية قصيدة البحتري التي مطلعها:

أَهلاً بِذالِكُمُ الخَيالِ المُقبِلِ فَعَلَ الَّذي نَهواهُ أَو لَم يَفعَلِ

عند دراسته لهاتين القصيدتين، ركز الباقلاني على العيوب في نظامهما، بهدف إثبات أن نظم القرآن الكريم له جنس متميز وأسلوب متفرد، لا يشابهه أو يقارنه أي نظام آخر. ولم يقتصر على تحليل القصيدتين وإظهار العيوب فيهما، بل قارنها بآيات من القرآن الكريم، مبينًا البلاغة العالية المتسقة التي تتحلى بها هذه الآيات، دون تقليل أو تغيير. وبالرغم من ارتكابه بعض التعسف والتكلف في تحليل العيوب[2].

نستخلص من دراستنا لهذا الفصل أن مرتاض قد استخدم المنهج النقدي في تركيزه على قضية السرقة الأدبية في كثرة التشابه بين كل من الرماني والباقلاني، والرماني والخطابي، وعلى نقده للباقلاني بحجج مقنعة لتهجمه على الجاحظ، وعلى قضية الموازنة بين الشعر والنثر، أكثر من تركيزه على البلاغة الإعجازية نفسها.

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص 127.

[2] ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، الجزء الأول، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م، ص154.

المبحث الثالث: الميراث البلاغي في المفاهيم السيميائية:

تحدث مرتاض في بداية الفصل الثالث المعنون بـ " الميراث البلاغي في المفاهيم السيميائية" لكتابه "نظرية البلاغة"، على قضية السرقات الأدبية، حيث يلاحظ أن بعض المفاهيم كانت في البداية تتعلق بالبلاغة، ثم تحولت فيما بعد إلى أسلوبية أو سيميائية، كمسألة اللفظ والمعنى التي أخذت الكثير من الجهد الفكري عند العرب قديما، وهي أيضا في الحقيقة إلا بحثا لدو سوسير في تنظيراته اللسانياتية، وتسمى بـ"الدال والمدلول"، دون أن يتم التنبه إلى ذلك الباحثون. بدا وكأن هذه المفاهيم نشأت بالشكل الذي هي عليه الآن، ولم يتم الإدراك بأنها كانت في الأصل لها جوانب بلاغية بحتة. فيقول مرتاض في هذا الخصوص "والسيمائيون العرب حين يلوكون اليوم بألسنتهم بعض المفاهيم في إطار العلوم الإنسانية الجديدة كالسيمائيات واللسانيات، وضمنها كثير من المفاهيم الفرعية المكونة لبعض العلوم. عليهم أن يعودوا إلى أصول بعض هذه المفاهيم لينظروا من أين جاءت؟ وفيم كانت؟ وهل كانت تضطرب في مفاهيم البلاغيين القدماء"[1]، فيؤكد مرتاض على ضرورة البحث في تاريخ هذه المفاهيم ومعرفة جذورها الحقيقية، فمن الممكن أن يكون أصلها بلاغي ولكنها حاليا سيمائية، فمثلا يوجد مصطلح الأيقونة التي يعرفها سعيد بنكراد بأنّها "علامة لها الخاصية التي تجعل منها ذات دلالة، وقد تحيل على موضوع ما، وإن كانت العلامة اللسانية ذات طابع اعتباطي في علاقة الدال بالمدلول، فإن العلامة الأيقونية ذات طابع تعليلي، أي تكون العلاقة بين الدال والمدلول قائمة على المشابهة والمماثلة، وعلى هذا الأساس كانت العلاقة القائمة بين دال الصورة ومدلولها علاقة قائمة على تشابه يجعل من الأول يحيل على الثاني دون وسائط"[2]. ونفهم من هذا القول أن العلامة، سواء كانت لسانية أو أيقونية، تحمل خاصية تجعلها تشير إلى موضوع محدد. وعلى الرغم من أن العلامة اللسانية قد تكون ذات طابع اعتباطي فيما يتعلق بالعلاقة بين الدال والمدلول، إلا أن العلامة الأيقونية تتمتع بطابع تعليلي، حيث تكون العلاقة بين الدال (العلامة) والمدلول قائمة على المشابهة والتشابه. وبناءً على هذا التفسير، يكون لدال الصورة علاقة تشابه مع مدلولها، مما يجعل الدال يشير إلى المدلول مباشرة دون الحاجة لوسائط

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، 142

[2] سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، ط2، دار الحوار والنشر والتوزيع، سوريا، 2005م، ص6.

أخرى، ويؤكد ذلك كلام دانيال حيث قال أن الأيقونة هي "صيغة يعتبر فيها الدال تشبيها بالمدلول أو مقلدا له يمكن التعرف على الشبه في المنظر أو الصوت أو الإحساس أو المذاق..."[1] ونرى أن هناك تشابه كبير بين الأيقونة والدال والمدلول.

وتحدث مرتاض أيضا عن التداخلات التي حدثت بين المفاهيم في مختلف العلوم وقد ذكرها كالتالي[2]:

1. **المعنى (Le sens)**: (يتنازعه النحو، والبلاغة، واللسانيات، والفلسفة)؛
2. **الدلالية (La sémantique)**: (تتنازعه اللسانيات، والسيمائية، والفلسفة)؛
3. **السمة، أو العلامة (Le signe)**: (يتنازعها اللسانيات، والسيمائية، والفلسفة)؛
4. **السيميائية [السيميائية، باصطلاح غيرنا، وهو ثقيل، والأول أخف، وهو يؤدي ما يؤدي صنوه لأنه مرادف له، لا أنه يختلف عنه] (La sémiologie, Semiology)**: (تتنازعها السيمائية، والطب، والفلسفة)؛
5. **التداولية (La pragmatique, Pragmatique)**: (يتنازعها المنطق، والفلسفة، والسيمائية، والبلاغة)؛
6. **التشبيه (Ressemblance, Resemblance)**: (بين البلاغة، والفلسفة، والسيمائية)، وهلمَ جرا.

ويرى مرتاض بهذا الخصوص أن المفاهيم السيمائية المعاصرة كانت في الأصل مفاهيم بلاغية خالصة ويضرب مثال ذلك نظرية "معنى المعنى" التي أنشأها عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس للهجرة، والتي تعرف الآن بـ"التداولية"(La pragmatique) ، فأصبحت الآن مفهومًا يعتمد تداوليًا في تحليل الكلام ويُشار إليه باسم "المسكوت عنه" في الكلام.

ويذكر صلاح فضل عن قضية التداولية والبلاغة في قوله "ويرى أنصار هذا الاتجاه أن المهمة الأولى لتحديد علاقة البلاغة بالتداولية محدد Pragmatique.هي تعريف مجال كل منهما . خاصة لأن

[1] دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،أكتوبر، 2008، ص81.

[2] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص143.

هناك بعض التعريفات الموسعة المريحة التي لا تساعد على التحديد العلمي الدقيق. وذلك مثل من يعرفون البلاغة بأنها فن القول بشكل عام، أو فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ»، مما يجعلها مجرد أداة نفعية ذرائعية. يقول الباحث الألماني لوسبرج Laus berg.Hإن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية ؛ يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف .. وبنفس الطريقة يرى ليتش Leitch أن البلاغة تداولية في صميمها ؛ إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما. ولذلك فإن البلاغة والتداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقى؛ على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو «نص في موقف»، مما يرتبط لا بالتعديلات التي يفرضها أشخاص المرسل والمتلقى وموقعهما على معناه فحسب وإنما بالنظر إلى تلك التعديلات التي تحدث في سلوكهما أيضا"[1]. ونفهم من كلام صلاح فضل أنه يتم التطرق إلى العلاقة بين البلاغة والتداولية في مجال الدراسات اللغوية والبلاغية. يرون أن الخطوة الأولى لتحديد العلاقة بين البلاغة والتداولية هي تحديد مجال كل منهما، وذلك لأن بعض التعريفات الموسعة التي توجد لا تساعد على تحديد العلاقة بشكل دقيق.

هناك من يعرفون البلاغة بأنها فن القول بشكل عام أو فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ. وهذا يجعلها مجرد أداة نفعية ذرائعية. ومن وجهة نظر الباحث الألماني لوسبرج، البلاغة هي نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية، يستخدم لإحداث التأثير الذي يرغب فيه المتكلم في موقف معين. وبنفس الطريقة، يرى ليتش أن البلاغة تداولية في جوهرها، حيث تعتبر ممارسة للاتصال بين المتكلم والمستمع، ويتم استخدام وسائل محددة للتأثير على بعضهما.

وبالتالي، يتفق البلاغة والتداولية البرجماتية في استخدامهما للغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي. يعتبر النص اللغوي في هذا السياق "نص في موقف"، ويرتبط بالتعديلات التي يفرضها الشخص المرسل والمتلقي وموقعهما على المعنى، ولكنه ينظر أيضًا إلى التعديلات التي تحدث في سلوكهما.

[1] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992م، ص89.

وذكر مرتاض أيضا مفهوم "الأسلوبية" (La stylistique) كان يُطلق عليه البديع والمعاني، ويدعو مرتاض من هذا المنطلق الباحثين في البحث في هذه المسألة لكي تزداد وضوحا أكثر.

انتقل مرتاض إلى ضرورة الحديث على ثلاث مفاهيم ألا وهي:

1. مفهوم الانزياح انطلاقا من العدول:

تعددت مسميات مصطلح الانزياح، فهناك من أطلق عليه مصطلح "الانحراف"، أو "الانتهاك"، وهناك من سماه بـ"الفجوة"، و "الابتعاد"، ولكن مرتاض رأى أن هذه المصطلحات لا تليق بالمفهوم البلاغي والأسلوبي ولا يرقى أدبيا وجماليا، ولكن عبد السلام المسدي زعم أنه كان يطلق عليه في البلاغة العربية اسم "العدول". في قوله: "مصطلح (L'écart) عسير الترجمة لأنه غير مستقر في متصوره لذلك لم يرض به كثير من رواد اللسانيات والأسلوبية فوضعوا مصطلحات بديلة عنه، وعبارة انزياح ترجمة حرفية للفظة (Ecart) على أن المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو أن نحيي له لفظ عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي عبارة العدول"[1].

يذهب مرتاض للقول بأن هذا المصطلح غاية في الغموض، وتبين أنه لا يقدم الكثير للدرس الأسلوبي، ولكن "أوزوالد"، و"جان ماري سشيفر" قد عالجاه بتفصيل ووضوح. وأما بالنسبة لأنواع الانزياح فهي عديدة متعددة ذكر مرتاض أهمها كالتالي[2]:

- الانزياح البلاغي؛
- الانزياح النحوي؛
- الانزياح الوصفي؛
- الانزياح الأسلوبي.

لكن مرتاض تطرق مباشرة إلى الانزياح الأسلوبي كونه على حسب قوله "ذو صلة باستعمال اللغة وتوظيفها في جمالية الإرسال وليس ضمن تركيب ألفاظ اللغة في جمل فحسب، ولكن ضمن بناء الجمل

[1] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، ص162.

[2] ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، 148.

نفسها في نسج الأسلوب الأدبي، والسعي إلى تخليصه من الرتابة والسكون، إلى الحركة والتوتر"[1]. ونرى المقصود بذلك أن دور الانزياح الأسلوبي يكمن في استخدام اللغة وتوظيفها في جمالية الإرسال والتأثير في النصوص الأدبية.

يستعرض مرتاض تعريفات مختلفة لمفهوم الانزياح. بقوله "كما يعرفه معجم روبير "فعل الخطاب الذي ينزاح عن المعيار" في حين يعرفه معجم لاروس بأنه انزياح اللغة، وهو الكلمة التي تحرق السلوك المتفق عليه في الاستعمال بين الناس"[2]، ونفهم من هذه التعريفات أن الانزياح يحدث عندما يكون هناك تحرك أو تغيير في استخدام اللغة والتواصل بطرق تجاوزت المعايير المألوفة، سواءً كان ذلك في استخدام الكلمات، التراكيب الجملية، الأساليب اللغوية، أو الشكل العام للخطاب.

يعتبر مرتاض الانزياح صفة أسلوبية تميز اللغة الأدبية للكاتب وتعطيها خصوصية داخل إطار النظام العام للغة. يتيح الانزياح للكاتب التعبير بطرق مبتكرة ومتجددة تجاوزت المعايير التقليدية وتضفي على أسلوبهم الكتابي تميزًا فريدًا. لأن النسج اللغوي في الكلام يعتمد على ترتيب وتنظيم عناصره اللغوية، مثل الفعل والفاعل والمفعول، أو المبتدأ والخبر. ويتم ذلك وفقًا لنظام الأسلوبية المعتادة والمتبعة في اللغة العربية، والتي تتميز بتراكيب بسيطة وواضحة. وتتجلى أهمية النسج اللغوي في تحقيق التوازن والجمالية في الكلام وإيصال المعنى بشكل فعال، يقول مرتاض بشأن هذا الموضوع "يأتي الانزياح ليكسر الرتابة الأسلوبية فيكون انتباه المتلقي غابرا في طريق جمالي معين عبر تلك الرتابة، ولكن بينما هو كذلك، إذ يأتي تعبير فيه ينزاح به المألوف"، ويوضح بهذا الكلام أن الرتابة الأسلوبية تشير إلى التكرار والتقليد الذي يحدث في الأساليب اللغوية والتعبيرية. يعني ذلك استخدام الأنماط والتراكيب اللغوية المألوفة والمتوقعة بشكل متكرر، دون وجود تجديد أو تنويع في الأسلوب. قد يؤدي التكرار المستمر والمتكرر إلى ملل المتلقي وفقدان الاهتمام، وبالتالي يمكن أن يقلل من تأثيرية النص وقدرته على جذب الانتباه. لذلك، يهدف الانزياح إلى كسر هذه الرتابة الأسلوبية وتقديم عناصر جديدة ومثيرة في النص لإثارة اهتمام المتلقي وتحقيق تأثير أكبر، ويضرب مثالا في ذلك لقول الحطيئة في هجاء الزرقان بن بدر:

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص149.

[2] المرجع نفسه، ص149.

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيَتِها واقعدْ فإنَّك أنتَ الطَّاعمُ الكاسي[1]

فقد عبر باسم الفاعل ولكنه يريد أنت المطعوم المكسو بدليل قوله: دع المكارم لبغيتها، إذ لا يعقل أن يجرده من المكارم ثم يصفه لأنه يطعم الناس ويكسوهم[2].

فالحطيئة نسب الى المهجو فعل الإطعام والإكساء ويريد أنه يطعم ويكسي[3]

يحلل مرتاض هذا البيت بأن الشاعر استخدم اللغة الهجائية الشائعة وتحدث عن المكارم والمآثر للأشخاص المحترمين وأهل الفخر. وأشار إلى أنه لا داعي للسعي للتميز والمعالي لأنها بعيدة عنه ولا يصل إليها، حيث يؤكد هنا أن هذا النوع من الكلام لا يستحق الاهتمام ولا يثير الفضول في النفوس. ولكنه عندما قال فيه الشاعر "واقعد فإنك الطاعم الكاسي"، فإنه انزاح عن الشكل المعتاد والتوقعات اللغوية العادية. حيث أن هذا يخلق تأثيرًا فنيًا وأسلوبيًا مميزًا يثير الاهتمام ويشد انتباه المتلقي، فيقول مرتاض حينها: "فقد وتر اللغة فجعل معنى اسم الفاعل يستحيل إلى معنى اسم المفعول، واسم المفعول توسعا وتصرفا وسخرية وتهكما .... وتركت المكانة للانزياح الأسلوبي يتفنن في الأسلبة حتى يظن من لا يعرف العربية أن الشاعر لم يهج الزبرقان فعلا، وهو أحد سادات العرب، ولكنه مدحه، ولم يذمه شيئا"[4]، المغزى هنا أن الشاعر قد استخدم التلاعب باللغة وتحويل المعاني ليخلق تأثيرًا أدبيًا مميزًا. من خلال استخدامه لأساليب الانزياح الأسلوبي، تمكن الشاعر من تشويق وإثارة اهتمام القارئ، حيث يتوقع القارئ معنى محددًا للكلمات والتعبيرات ولكن يفاجأ بانزياحها عن المألوف وتأثيرها المختلف. يتم تحقيق هذا المغزى من خلال تغيير المعاني المعتادة للكلمات واستخدامها بطرق مبتكرة ومفاجئة لإيصال فكرة معينة أو إثارة مشاعر معينة لدى القارئ.

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص150

[2] مفيد محمد قميحة، ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن سكيت، دراسة وتبويب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص119.

[3] ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغي البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ص292.

[4] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص151

ويذكر تامر سلوم الانزياح أيضا في قوله: " وقد تكون العلاقة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي غير واضحة تحتاج لضرب من التأمل كما هو الأمر في المجاز المرسل من قول الشاعر في صفة راعي الإبل:

ضَعيفُ العَصا بادي العُروقِ تَرى لهُ عليْها إذا ما أجْدَبَ النَّاسُ إصْبَعا

وقول الآخر:

صُلْبُ العَصا بالضَّرْبِ قد دَمَّاها

حيث أراد كما بينا (الأثر الحسن) أو (حسن الرعية) والرفق والإشفاق ، والمنع من التشرد والتبدد ، فالمجاز لابد أن يستند إلى الحقيقة الاصطلاحية لمعنى الكلمات ، بمعنى أن الاستخدام المجازي للكلمة لابد أن يستند إلى وجود علاقة ما بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي، سواء كانت هذه العلاقة قوية واضحة تقوم على المشابهة – صريحة كانت أو خفية –كما هو الشأن في الاستعارة بنوعيها ، أو كانت علاقة غير واضحة تحتاج لضرب من التأمل كما هو الأمر في المجاز المرسل وهذا الشرط – شرط العلاقة – يؤكده عبد القاهر في أكثر من موضع ثم اعلم بعد أن في إطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن أصله شرطاً وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه مع ملاحظة الأصل.

ولابد إذن لكل مجاز من حقيقة سابقة عليه، ولأن كل مجاز حقيقة، ولا عكس. يدل على المجاز هو المنقول أو المزاح إلى معنى ثان لمناسبة شاملة، والمنحرف الثاني له أول، وذلك الأول لا يجب فيه المناسبة"[1]، وبذلك فقد تطرق تامر سلوم إلى العلاقة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي في اللغة العربية. حيث أشار إلى أن العلاقة بينهما قد تكون غير واضحة وتحتاج إلى تأمل وتفكير. يقدم أمثلة لبعض الأبيات الشعرية التي تحتوي على مجازات، ويركز على أهمية أن تستند المجازات إلى الحقيقة الاصطلاحية للكلمات، ويذكر أيضًا أن الاستخدام المجازي للكلمات يجب أن يكون هناك علاقة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي، سواء كانت هذه العلاقة واضحة وقوية قائمة على المشابهة، أو غير واضحة وتحتاج إلى تأمل، وبالتالي، يتضح أن لكل مجاز حقيقة سابقة عليه، وأن المجاز يدل على المعنى الثاني من خلال

[1] تامر سلوم، الانزياح الشعري الدلالي، مجلة علامات، المغرب، ص96.

الإشارة إلى مناسبة شاملة، وأن الاستخدام المجازي للكلمات يجب أن يكون متوافقًا مع المعنى الأصلي للكلمة.

2.مفهوم التداولية انطلاقا من معنى المعنى:

قبل التطرق إلى أصل مفهوم التداولية لا بد من الحديث عن قضية المعنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني حيث قال: "الكلام على ضربين؛ ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن "زيد" مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد وبالانطلاق" عن "عمرو" فقلت : عمرو منطلق، وعلى هذا القياس، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل وقد مضت الأمثلة فيها مشروحة مستقصاة، أو لا ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت : طويل النجاد، أو قلت في المرأة :نؤوم الضحى، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك، كمعرفتك من كثير" رماد القدر أنه مضياف و من طويل "النجاد أنّه طويل القامة، ومن "نؤوم الضحى" في المرأة أنها مترفة ومخدومة، لها ما من يكفيها أمرها وكذلك إذا قال: رأيت أسدا، ودلك الحال على أنه لم يرد السّبع، علمت أنه أراد التشبيه إلا أنّه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لا يتميز عن الأسد في شجاعته، وكذلك تعلم من قوله : بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى؛ أنه أراد التردّد في أمر البيعة واختلاف العزم في الفعل وتركه على ما مضى من الشرح"[1]. وبذلك يقوم الجرجاني بتقسيم الكلام إلى نوعين من حيث دلالته على المعنى. النوع الأول هو الذي يعبر عن معناه من خلال اللفظ وحده، حيث يكون المعنى واضحًا ومفهومًا عند سماعه. ويقدم الجرجاني أمثلة مثل "خرج زيد" و"عمرو منطلق" حيث يمكن فهم المعنى المقصود من خلال اللفظ المباشر.

أما النوع الثاني فهو الذي لا يدل على معناه من خلال اللفظ وحده، ويحمل معنىً ظاهرًا يتطلب التلفظ ومعنىً ثانٍ ينبعث من المعنى الظاهر وهو المعنى المقصود من المتكلم. ويقدم الجرجاني أمثلة مثل

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي مطبعة المدني، 2009م، ص262.

"كثير رماد القدر" و"طويل النجاد" و"نؤوم الضحى" و"رأيت أسدا" و"بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى" حيث يتطلب فهم المعنى المقصود تأملاً واستنباطًا للمعنى الحقيقي وراء المعنى الظاهر.

باختصار، يركز الجرجاني على أن الكلام يمكن تقسيمه إلى نوعين: الذي يعبر عن معناه بوضوح من خلال اللفظ، والذي يتطلب تفسيرًا وتأملاً لفهم المعنى الحقيقي وراء المعنى الظاهر.

يشير مرتاض إلى إن أصل مفهوم التداولية يعود إلى الثقافة الغربية الذي كان يسمى باللغة الإغريقية "Pragmatikos"، وباللغة اللاتينية "Pragmatika sanctio"، وتعددت استعمالات هذا المفهوم في عدة مجالات من بينها: القانون والفلسفة، المنطق، الرياضيات، واللسانيات، إضافة إلى البلاغة والسيمائية (التأويلية)، وقد نشأ هذا المفهوم في أمريكا الشمالية من قبل شارل موريس في مطلع القرن العشرين، ولكن مرتاض يشير إلى صعوبة ترجمة هذه مفاهيم الأجنبية بصيغة عربية واحدة بشكل مطابق. وبناءً على ذلك، يقترح أن نستخدم المصطلح "التداول" للإشارة إلى المفهوم الأول، والمصطلح "التداولية" للإشارة إلى المفهوم الثاني. بهذه الطريقة، يتم تمييز التقارب الدلالي والمعاني الدقيقة بينهما في لغتنا العربية المعاصرة[1].

وقد ذكر جواد ختام في كتابه "التداولية أصولها واتجاهاتها" تعريفا لجورج يول **George Yule** للتداولية إذ يقول "التداولية تُعنى بدراسة المعنى كما يعبر عنه المتكلم (أو الكاتب) ويؤوله المستمع (أو القارئ)، وبالتبعية فإنها تهتم أكثر بتحليل ما يرميه إليه المتخاطبون من ملفوظاتهم، أكثر مما تعنى بما يحتمل أن تعبر عنه الكلمات أو الجمل نفسها، وعليه فإن التداولية دراسة لمقاصد المتكلم"[2]، المقصود من هذا التعريف إن أن التداولية هي دراسة المعنى وكيفية تفسيره من قبل المتكلم والمستمع، حيث تهتم بمقاصد المتحدث والأهداف التي يسعى لتحقيقها من خلال استخدام اللغة، وتفهم العلاقة بين المعنى والسياق، وتأثير السياق على التفاهم والتفسير اللغوي. إذ أنها مفهوم شامل يركز على اللغة كأداة للتواصل والتفاعل الاجتماعي.

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص163

[2] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، كنوز المعرفة، عمان، 2016م، ص17.

وقد تعددت التوجهات المختلفة في تفسير مفهوم التداولية، حيث أظهرت الآراء أن هذا المفهوم قد كان موجوداً منذ العصور القديمة وظل مستخدمًا في تحليل الخطاب. وقد استخدم البلاغيون العرب واليونانيون مصطلح "السياق" للإشارة إليه، ولكن ملاحظة مرتاض تكمن في أن مفهوم "السياق" البلاغي يتضمن جانبين، أحدهما هو "المرجع" والآخر هو "تداولية اللغة"، أو ما يعرف بـ "مقتضى الحال" على حد تعبير السكاكي. ومع ذلك، لم يقم الأدباء القدماء بالتعمق في دراسة هذا المفهوم بشكل كافٍ، لهذا السبب، يؤيد بعض المنظرين كأمثال روبرت جاكسون(Robert Jackson) و جيرارد شيفر(Gerrit Schouten) فكرة تصنيف الدراسات التداولية استنادًا إلى وظيفة السياق أو مقتضى الحال الموجود فيه، نظرًا لأن هذا السياق يُعَد مفهومًا أساسيًا ومميزًا[1].

ويرى مرتاض أن كرو جان وماري شيفر قد توصلا إلى أن التداولية هي "دراسة لكل ما ينصرف إلى المعنى الملفظ، وتحرص على طبيعة "الوضع" الذي يستعمل فيه الملفظ، وليس على مجرد البنية اللسانياتية للجملة المستعملة"[2]، والمقصود هنا من كلامه أن مفهوم التداولية يشير إلى دراسة كل ما يتعلق بالمعنى اللفظي وتحديد طبيعة السياق الذي يستخدم فيه المصطلح أو العبارة، بدلاً من التركيز فقط على البنية اللغوية للجملة المستخدمة. التداولية تهتم بفهم وتحليل العلاقة بين المعنى والسياق وكيفية تأثير السياق على التفاهم والتفسير اللغوي، ويعتبر ديكرو وشيفر أنه من الممكن أن نعتبر التداولية مفهومًا غريبًا عن مجال اللسانيات، لأنها تناقش مسائل تتعدى حدود جمل اللغة المستخدمة. وعلى الرغم من أن عملية التفسير تعتمد على تحليل لغوي، إلا أنها تحتاج أيضًا إلى اهتمام بطبيعة السياق الذي يحيط بعملية التفسير، والمغزى من هذا كله أن التداولية تعتبر مفهومًا يتعدى نطاق اللسانيات التقليدية. فهي تركز على دراسة كل ما يتعلق بالمعنى المستنبط من الكلام، وتولي اهتمامًا بالسياق الذي يحيط بالنصوص والتواصل اللغوي. وعلى الرغم من أن التفسير يعتمد على تحليل لغوي، إلا أنه يحتاج أيضًا إلى فهم الوضعية الاجتماعية والثقافية والتاريخية التي ينشأ فيها النص ويتم استخدامه. بالتالي، فإن فهم التداولية يساعدنا في فهم اللغة كوسيلة تواصل وتفاعل اجتماعي.

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص166.

[2] المرجع نفسه، ص167

ينتقل مرتاض إلى التحدث عن مسألة تداولية اللغة وتحليل الخطاب عند رولان بارت فيقول: "العبارات الطلبية يمكن أن تتحول إلى عبارات خبرية لكن دون أن تفقد طبيعتها الطلبية مثل قول القائل "لا تدخن!" فإن صيغتها تعني بلغة تأدبية "يمنع التدخين"، أو "هنا لا يدخن أحد"، والصيغتان الثانية والثالثة هما في الحقيقة تعكسان معنى الصيغة الأولى، وهي صيغ يستعملها الباث للتأدب مع المخاطب، فعوض أن ينهاه عن التدخين هو شخصيا، وبطريقة الأمر والنهي، يعمد إلى إخباره عن أن التدخين حيث هو ممنوع"[1]، ونفهم من هذا أنه يتم استخدام العبارات الخبرية في اللغة التأدبية للتعبير عن النهي والتوجيه بشكل مهذب ومؤدب.

وقبل الانتقال إلى مفهوم الأسلوبية انطلاقًا من البديع، لا بد لنا أن نعرض خلاصة الأمر كله. بحيث يشير مرتاض إلى أن التداولية اللغوية تدخل في أدوات التفسير، حيث يتم استخدام الكلمات بمعانٍ متعددة، وغالبًا ما يكون المقصود بالكلمة أكثر مما يظهر على سطح الكلام. فيتم تحويل الكلام الواضح إلى قدرة تفسيرية لإنتاج كلام آخر يُغفَل عنه. ويمكن اعتبار ذلك مبدأ "المسكوت عنه" كمفتاح للتداولية اللغوية.

3. مفهوم الأسلوبية انطلاقا من البديع:

يعرف ابن رشيق القيرواني البديع قائلا: " الجديد، وأصله في الحبال، وذلك أن يفتل الحبل جديدًا ثم فتلت فتلًا آخر، وله ضروب كثيرة وأنواع مختلفة"[2]، وأما عند السكاكي فالبديع هو "وجوه مخصوصة لقصد تحسين الكلام، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ[3]" ونرى من هذه التعريفات أن البديع هو المحور الأساسي في تحسين المعنى والتعبير اللفظي في الكلام.

ويبدأ مرتاض بمناقشة البديع وبدايات تأسيسه، حيث يشير إلى أنه تأسس على يد بن المعتز في كتابه المشهور "البديع". ومن الملاحظ أن بن المعتز لم يذكر تعريفات للأضرب البلاغية في الكتاب، بل انتقل مباشرة إلى استشهاده بالنصوص القرآنية والشعرية، وقد ذكر ثمانية عشر ضربا من البديع. ولكن

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، 170

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى 2000م، ص427.

[3] السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص423.

سرعان ما جاء بعده العديد من الكتّاب الآخرين الذين أكدوا وجود ثلاثين ضربا منه، مثل قدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري، وكان لكل منهما سبعة وثلاثين ضربا. أما صفي الدين الحلي فوضع مائة وأربعين ضربا من البديع.

ويستعين مرتاض بعدة تعريفات للبديع في قوله: "وقد عرفه الشيخ أحمد مصطفى المراغي فقال: هو علم تُعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها. وقد عرفه المعجم الوسيط بقوله: والبديع يعرف به وجوه تحسين الكلام"[1]، ويرى مرتاض في ظل هذه التعريفات المتعدد أن الغاية من البديع هي تحسين جودة التعبير وإيصال الرسالة بشكل فعال، مما يساعد في إثارة اهتمام المستمعين أو القراء وتأثيرهم بصورة إيجابية.

بعدها انتقل البديع من مجال البلاغة إلى مجال اللسانيات العامة بهدف دراسة الآثار الناتجة عن استخدام تقنيات تحسين الكلام في الأسلوب الذي يختاره الكتاب والأدباء. ويتم ذلك عن طريق تنسيق الكلام وتحسينه باستخدام عناصر شكلية تجعله أكثر جمالية وتألقًا. يهدف البديع إلى تحليل تأثير هذه المحسنات اللغوية على الأسلوب العام والتأثير الذي يحققه في القرَّاء أو الجمهور ويضع مرتاض مثالا في ذلك الآية الكريمة التي تقول ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (سورة الروم: الآية 55)، وتحليل مرتاض هنا يتمثل في أن النص في هذه الآية يحتوي على كلمتين متشابهتين في النطق والتهجئة، ولكن كل منهما يحمل معانٍ مختلفة. اللفظة الأولى تشير إلى اليوم الآخر والقيامة، بينما اللفظة الثانية تعبر عن الزمان الدنيوي الحاضر الذي يعيشه الناس. وتكمن جمالية هذا النص في استخدام هذه النظم الأسلوبي لدمج كلمتين ذات معانٍ مختلفة في نفس الآية، حيث تتفرع المعاني بشكل منفصل دون أن تتداخل.

ونضرب مثالا آخرا في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ (سورة البقرة: الآية 58).

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص175.

والآية الثانية هي قوله تعالى: ﴿**إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ (سورة الأعراف: الآية 161).

إنَّ من يدقق في هاتين الآيتين يتبيَّن له وجود توافق في الألفاظ بالنسبة للجملة، وفي الوقت نفسه يُلاحَظ أيضًا وجود بعض الاختلافات اللفظية، حيث أن إنَّ ذكر الدخول في سورة البقرة لا يلزم منه السكن، بينما ذكر السكن يلزم منه الدخول. لا يمكن أن تسكن في مكان ما إلا إذا كنت قد دخلت فيه. لذلك، استخدمت كلمة "ادخلوا" في سورة البقرة، حيث أمرهم الله بالدخول في المدينة كبداية للعملية. أما في سورة الأعراف، فوضح الله أن المقصود هو السكن، وتبين أسلوب ذلك بذكر العبارتين على التوالي.

أما بخصوص استخدام حروف العطف، ففي سورة البقرة استخدمت الفاء لأن الأكل يأتي بعد الدخول، ولا يكون قبله أو معه، وبالتالي جاء العطف بحروف الفاء للتعقيب. أما في سورة الأعراف، فذُكر السكن الذي يشمل الأكل قبله وأثناءه وبعده، ولذلك جاء العطف بحرف الواو الذي يدل على المطلق والجمع .

بعد ذلك نرى أن مرتاض قد تطرق إلى تعريف الأسلوبية عند شارل بالي فيقول "ولذلك عرف شارل بالي الأسلوبية على أنها دراسة مظاهر التعبير للغة منتظمة من حيث المضمون الوجداني، أي أنها تجسيد فعل الحساسية بواسطة اللغة، وأثر أفعال اللغة في الحساسية"[1] ونفهم من هذا التعريف أن الأسلوبية دراسة تنظيرية لمظاهر التعبير في اللغة، وتركز بشكل خاص على العواطف والمشاعر الموجودة في المضمون اللغوي. فهي تسعى لتجسيد الحساسية والانفعالات عن طريق استخدام اللغة، وتهتم بفهم تأثير أفعال اللغة على توليد وتحفيز الحساسية لدى المتلقي.

كما يشير إليها عبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوب والأسلوبية" فيقول: "أما ريفاتير فإنه ينطلق من تعريف الأسلوبية بأنه علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف الباث مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المتقبل، والتي بها يستطيع أيضا أن يفرض على المتقبل وجهة

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص176.

نظره في الفهم والإدراك فينتهي إلى اعتبار الأسلوبية "لسانيات" تُعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص"[1]، ونفهم من هذا التعريف أن الأسلوبية علم يهدف إلى اكتشاف العناصر المميزة التي تمكن للكاتب من خلالها مراقبة حرية إدراك القارئ وتأثيرها على القراءة. وتم التأكيد على أن الأسلوب يمكنه أيضًا توجيه وجهة نظر القارئ وتأثيره في فهم وإدراك المحتوى.

ويتطرق مرتاض إلى الدراسة الأسلوبية الأدبية لاستكشاف مظاهر الأسلوب أو البديع التي تتجلى في الأدب منذ العصور القديمة، مثل العصر العباسي الذي شهد ازدهار ظاهرة الكلف بالبديع لدى الشعراء العرب. واستمرت هذه الظاهرة في الكتابات الأدبية العربية حتى العصور الحديثة. ومع ذلك، بحيث تهدف الأسلوبية الأدبية الفردانية إلى جمع ودراسة الأساليب الأدبية المميزة لأدباء معينين، سواء كانوا شعراء أو كُتابًا، خلال فترات زمنية محددة في تاريخ الأدب. وهذه الدراسة تسعى إلى فهم وتحليل تلك الأساليب الأدبية المميزة واستخلاص العناصر البديعية التي تتجلى فيها، وضرب مرتاض مثالا في ذلك مطلع قصيدة أبي تمام الطائي فيقول:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ في حَدّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ[2]

يستدل مرتاض من هذه البيت إلى أن الكلمات المصطنعة المستخدمة في أسلوب هذا النص تحمل دلالات غير مألوفة أو غير متوقعة من الناحية اللغوية، حيث لا يقصد المتحدث استخدام السيف كأداة حقيقية للردع، بل يشير إلى مصدر القوة والحكمة التي يتم استخدامها للتصدي للظالمين، حيث أن لفظة "الكتب" تحمل دلالات متعددة، بحيث يشير بمعناه القريب المعروفة لدى الناس، وبمعناه البعيد إلى استخدام كتب التنجيم. فيتقن الشاعر اللعب بين هذين المعنيين المتناقضين، مستخدمًا تقنية الفصل بينهما بفاصل، لكنه لم يصل إلى البراعة الأسلوبية التي تعتمد على اللعب باللغة واستغلال معانيها المتنوعة. وبهذا ينتهي البيت بالمطابقة بين الجد واللعب.

وقد أشتهر أبو تمام بالغموض في معانيه ودقتها، ويرجع ذلك إلى استكشافه للمعاني بشكل عميق، مما يتطلب من القارئ استنباط وتفسير دقيق، ويؤكد ذلك الحسن بن بشر الآمدي حين قال: "نُسِب

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، مرجع سابق، ص49.

[2] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص178.

أبو تمام إلى غموض المعاني ودقتها نتيجة غوصه على المعاني مما يحوج بالمتلقي إلى الاستنباط والشرح والتدقيق، وهناك من ردَّ الغموض في شعر أبي تمام إلى البعد في الاستعارات والعمق في الأفكار وغرابتها بالإضافة إلى موهبة الشاعر وثقافته"[1] وقد ظهرت آراء مختلفة حول سبب الغموض في شعره، حيث يعزوه البعض إلى استخدامه الاستعارات والأفكار العميقة والغرابة، بالإضافة إلى موهبته وثقافته. ويتجه شعر أبو تمام نحو الواقعية والعقلية، ويعتمد على العقل والمنطق. ويرى النقاد أن البديع هو السبب وراء غموض شعر أبو تمام وتكثره، وفشله في وضع الألفاظ في أماكنها المناسبة[2].

وفي نهاية هذا المبحث نستخلص أن مرتاض قد تناول مفهوم التداولية في اللسانيات، والتي تركز على معنى الكلمة وسياق استخدامها، ثم تناول أهمية العبارات الطلبية وقدرتها على التحول إلى عبارات خبرية دون أن تفقد طبيعتها الطلبية، كما أشار إلى أن التداولية اللغوية التي تعني الاهتمام بالمعنى والوضع القائم للتأويل.

بالإضافة إلى ذلك، تطرق إلى مفهوم البديع في الأدب ودوره في تحسين وتجميل الأسلوب اللغوي. وأشار إلى أن الأسلوبية تدرس مظاهر التعبير وتأثير اللغة في التعبير الوجداني، وإلى الأسلوبية الأدبية الفردانية ودورها في جمع ودراسة الأساليب الأدبية لأدباء معينين خلال فترات زمنية محددة في تاريخ الأدب.

[1] الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تح: محمد محيي الدين، المكتبة العلمية للنشر، بيروت، ص 10.

[2] ينظر: الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، مرع سابق، ص10.

المبحث الرابع: الصورة البلاغية من منظور عبد الملك مرتاض.

قبل الولوج إلى الصورة الشعرية لا بد من التطرق إلى مصطلح "الصورة" أولا، فقد حظي مصطلح "الصورة" باهتمام كبير من قبل البلاغيين والنقاد والعرب في تحديد مفهومه، ويعود ذلك إلى قوة تأثيرها على دلالة النصوص الأدبية.

إن مصطلح الصورة هو واحد من أكثر المصطلحات الأدبية والنقدية انتشارًا واستخدامًا في النقد الأدبي. ومع ذلك، يواجهنا تحدي في تحديد مفهوم الصورة بشكل دقيق، حيث أصبح أمرًا صعبًا في بعض الأحيان. يعتبر مصطلح الصورة من بين المصطلحات النقدية التي قد لا تكون مستقرة بشكل ثابت، وتخضع لتفسيرات وتباين في الفهم والتطبيق. فقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم عدة مرات، كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيس لَمْ يَكُنْ مِنْ السَّاجِدِينَ﴾ (سورة الأعراف: الآية 11)، وفي قوله أيضا عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العالمين﴾ (سورة غافر: الآية 79).

وقد أشار إليه ابو هلال العسكري في كتابه الصناعتين وذلك بقوله "والبلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن، وانما جعلنا المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة لان الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقاً لم يسم بليغاً وان كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى"[1]، يشير هذا الكلام إلى أن البلاغة هي القدرة على إيصال المعنى إلى قلب السامع وإلهامه. ومن المهم أن يكون المعرض وقبول الصورة جيدين ليكون للبلاغة تأثير قوي في نفس السامع. ويتمثل شرط البلاغة في أن يكون الكلام مصاغًا بشكل جيد وأن يكون المعرض للصورة مقبولًا ومعرضًا حسنًا. إذا كانت عبارات الكلام ضعيفة والمعرض للصورة غير جذاب من الناحية الفنية، فإن ذلك لا يعتبر بلاغة. وحتى إذا كان المعنى واضحًا، فإنه لا يعد بليغًا إذا لم يتوفر فيه جودة العبارة وجاذبية المعرض.

[1]. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل إبراهيم، ص19.

وتعرفها أيضا بأنها: "الوسيلة أو السبيل لتشكيل المادة وصوغها وشأنها في ذلك الشأن غيرها من الصناعات، وهي أيضا نقل حرفي للمادة الموضوعة: المعنى، يحسنها ويزينها ويظهرها حلية تؤكد براعة الصائغ من دون أن يسهم في تغيير هذه المادة أو تجاوز صلاتها أو علائقها الوضعية المألوفة"[1]، وبذلك فإن المقصود بهذا الكلام هو أن البلاغة هي وسيلة لتشكيل وتصوغ المادة اللغوية وجعلها جميلة وزاهية، وهي تهتم بتحسين وتجميل المعنى دون أن تتدخل في تغيير هذه المادة أو تعديل العلاقات والصلات الوضعية التي تربطها بباقي عناصر النص. فهي تسعى لتحسين التعبير وإظهار الجمال اللغوي والفني دون تغيير جوهر المادة الأصلية أو الانحراف عن معانيها الأساسية.

في هذا الفصل، يسعى عبد الملك مرتاض إلى إبراز المفارقة بين الصورتين، الصورة البلاغية والصورة الشعرية. يرى أن الصورة البلاغية التقليدية تعتبر محصورة في الشعر وتعتمد على أدوات البلاغة التقليدية مثل الاستعارة والكناية والتشبيه والمجاز. ومن ناحية أخرى، يروج مرتاض للصورة الشعرية الحديثة التي تتجاوز تلك الأدوات البلاغية التقليدية. يرى أن الصورة الشعرية الحديثة تعبر عن التجديد في لغة الشعر وتستخدم تقنيات جديدة للتعبير عن الأفكار والعواطف، وتجنب القوالب الجاهزة والتكرارات.

إن مرتاض يعتبر الصورة الفنية بواسطة لغة شعرية تعبيرًا عن الأفكار والعواطف والتجربة الشخصية. يرفض القوالب الجاهزة التي أدت إلى التكرار والسرقة الشعرية ويسعى للتجديد والإبداع في التصوير. برأيه، الصورة تعبر عما يدور في الذهن وتصف ما يوجد في القلب، وتعتبر ثمرة لغة شعرية تعبر عن الأفكار والعواطف في لحظة فلتة سائحة[2].

ونفهم من هذا أن مرتاض يروج للتجديد في استخدام الصورة الشعرية، ويدعو إلى تجاوز القوالب التقليدية واستخدام لغة شعرية حديثة تعبر بحرية عن الأفكار والعواطف.

[1] بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994، ص22.

[2] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص184.

1- الصورة في الأدب العربي القديم :

1) في الشعر:

في الشعر العربي القديم، اعتبرت الصورة البلاغية ذات طابع حسي ومادي، وقد ذكر عبد الملك مرتاض بعض الأمثلة على هذه الصور في شعر القدماء. ومن بين هذه الأمثلة، يأتي بيتان من قصيدة عنترة بن شداد وصف فيهما الذباب. هذان البيتان استحوذا على إعجاب الجاحظ وعبد الله بن المعتز، ولذلك تم ذكر الثاني منهما من قبل ابن طباطبا. وعلى الرغم من ذلك، بدأت البيتان يتكرران بين البلاغيين القدماء[1]. وهما:

وَتَرى الذُّبَابَ بها يُغَنِّي وَحْدَهُ هزجا كَفِعْل الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

غرداً يَحُكُّ ذِراعَهُ بذِراعِهِ قَدْحَ المكَبِّ على الزِّنَادِ الأَجْذَمِ

يوضح مرتاض أن الصورة البلاغية المذكورة في البيتين تتضمن صورة صوتية في التشبيه الأول، في حين تجسد التشبيه الثاني صورة حركية تحدث في الفضاء الجوي، ليس على الأرض. ويلاحظ أن الصورة الحركية تم حذفها، وهذا يعني أن البيتين يحملان صورة مادية محسوسة، حيث يجمعان بين السمات الصوتية والسمات الحركية. يشير إلى أن الصورة الصوتية تتجلى في قوله "الذباب بما يغني وحده كالشارب المترنم"، حيث يقارن عنترة الذباب بالشارب السكران الذي يغني وحده ليصل به إبداعه إلى النهاية. أما الصورة الحركية فتتجلى في قوله "يحك ذراعه بذراعه... قدح المكب على الزناد الأحذم"، وهذا يعكس الملاحظة الدقيقة لعنترة لحركة الذباب وهو يحلق بأجنحته الصغيرة ويتطاير من مكان إلى مكان[2].

ونرى الصورة الشعرية أيضا في بيت النابغة الذبياني -أحد أبرز شعراء العصر الجاهلي- الموجهة للخليفة النعمان، حيث اعتذر بطريقة مميزة حيث قال[3]:

وَأَنتَ رَبيعٌ يُنعِشُ الناسَ سَيبُهُ وَسَيفٌ أُعيرَتهُ المَنِيَّةُ قاطِعُ

---

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص 185.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 188.

[3] محمد أبو الفضل إبراهيم، ديوان النابغة الذبياني، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1977م، ص38.

يبدع النابغة الذبياني في هذا البيت في تمجيد الخليفة بأسمى الصفات التي تعزز قيمة العرب، فهو يثني على سمو الخليقة وشجاعته، ويعكس براعته في اختيار هذه الصفات.

ويشرح محمد أبو الفضل إبراهيم هذا البيت بقوله: "(وأنت ربيع)، أي أنت بمنزلة الربيع، وهو الغيث، ومعنى (يُنعش) يجبر ويرفع، ومنه سُمي النَّعش.

والسيب: العطاء، يقول: أنت سيب لأوليائك تنعشهم وترفعهم، وسيف أعدائك تهلكهم وتستأصلهم. وقوله: (أعيرته المنية)، يريد أن يهلك أعداءه، فكأنه سيف استعارته المنية، تهلك به من بلغ أجله"[1].

فهنا يعزز الشاعر في هذا البيت صورة التشبيه بطريقة حركية ومبالغة. يستخدم الكلمات التي تعكس الحركة والتأثير القوي، مما يضفي قوة وحيوية على الموصوف. يصف الخليفة بأنه "ربيع" و"غيث"، مشبهًا إياه بالمطر الذي يعطي الحياة وينعش الأرض. وعبارة "يُنعش" تعكس تأثيره القوي والرفعة التي يحملها، بينما يُستخدم مفهوم "السيب" للإشارة إلى عطاءه الوفير وتأثيره الذي ينعش ويرفع أولياءه. ويوجه لأعدائه تهديدًا قويًا بوصفهم بأنهم سيف يهلكهم ويستأصلهم. هذا التضخيم والحركية يساهمان في إبراز قوة وسمو الخليفة وتأثيره القوي والمحوري.

2) في النثر العربي القديم:

يشير مرتاض إلى أن الخطابة كانت تعتبر الفن النثري الأول في العصر الأموي، حيث تصنف في أعلى المراتب في الأنواع ذات الصيغة الشفهية في الخطاب النثري. وقد ازدهرت الخطابة بشكل كبير في ذلك العصر، حيث ساهمت الأحزاب السياسية والمذاهب الدينية والخطب الاجتماعية في تطورها وتعزيزها. كل فريق من هذه الأحزاب يتنافس لإثبات صحة وحقيقة قضيته ومناهضة الأفكار الخاطئة للفرق الأخرى، وذلك من خلال استعراض موهبة البلاغة العربية وفصاحتها الفطرية.

يعتبر الحجاج بن يوسف الثقفي أحد الشخصيات البارزة في فن الخطابة في هذا العصر، وتحدث عنه العديد من البلغاء والفصحاء. يستعرض مرتاض في هذا الفصل نموذجًا شهيرًا للخطابة العربية في العهد الأموي، وهو خطاب الحجاج الشهير الذي ألقاه على أهل الكوفة. يهدف مرتاض من ذلك إلى

[1] محمد أبو الفضل إبراهيم، ديوان النابغة الذبياني، مرجع سابق، ص38.

معالجة التقارير المتعلقة بهذا الخطاب وتحليله، حيث يعترف بأن النقاد القدماء كانوا في كثير من الأحيان يركزون على الجانب الفني للخطابة وتأثيرها الفني والمعنوي على الجمهور.

بهذا الشكل، يقدم مرتاض رؤية نقدية للخطابة في العصر الأموي ودورها البارز في الحياة السياسية والاجتماعية، ويستعرض مثالًا للخطابة العربية المهمة التي ألقاها الحجاج بن يوسف الثقفي وهو يخطب للناس حين قال "إني لأرى رؤوسا، قد أينعت وحان وقطافها، وإني لصاحبها"[1]، فالمحلل لهذه العبارة يجد الحجاج يوظف صورة شعرية بديعة رغم مضمونها القاسي، فقد شبه الباث أي شبه رؤوس معارضيه بالفاكهة اليانعة، وأن قطافها قد حان بمعنى أنه يقطف رؤوس هؤلاء المعارضين لكي يبقي على رأس الدولة، فهذه الصورة تقوم على طرفين هما طرف القاطع القاطف لتلك الرؤوس، وطرف المقطوع أي المقطوف بمعنى الضحية، وقد ذكر محمد العمري الحجاج في قوله: "والحجاج واحد من خطباء العصر الأموي الذين يهتمون بالتصوير، وتبرز مقدرتهم الفائقة على الدوام، بل كثير ما الحجة"[2]، بمعنى أن الصورة التي صاغها الحجاج بن يوسف تعد من العناصر المؤثرة بشكل فردي على المتلقي، حيث تميل إلى الأولوية على عنصر الإقناع المنطقي. يبرز في خطاباته بوضوح وجاذبية قوة التصوير، وهذا ما يميز أسلوبه الخطابي.

تعتبر الصورة البلاغية في هذه العبارة، وفقًا لاطلاع عبد الملك مرتاض، بعيدة عن التقليد الشعري الأساسي، ولكنها تنبثق من خيوط شعرية متفرقة. يشير إلى أن الحجاج بن يوسف استخدم الشبه لينقل المعنى الحقيقي لتلك الرؤوس التي كانت متشبعة بالغضب. قد قارب الخارجين عن الخلافة والمعارضين على شكل أشجار يانعة، كما ورد في قوله "وَرُؤُوسٌ قَدْ أَيْنَعَتْ". تبرز هذه الصورة المجازية عاطفة السخرية وتعزز الازدراء، حيث يشبه الحجاج نفسه بالبستاني الذي يأتي إلى حديقته ليجني ثمارها الناضجة والرائعة. وهذا التشبيه ليس غريبًا علينا، حيث يمكننا أن نلاحظ استخدام كلمة "ينع" في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ**

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص 199.

[2] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي،ط2، دراسة الخطابة العربية، المغرب، 2002م، ص96.

مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنعام: الآية 99)، وفي هذا السياق، يأخذنا مرتاض إلى صورة أخرى مستوحاة من قول الحجاج بن يوسف، حيث يقول "وحان قطافها واتي لصاحبها". يعتمد الحجاج هنا على الخيال والتصوّر لإيصال المعنى بشكل متميز. يشير مرتاض إلى أن هذا التشبيه البديع قد تحقق نجاحًا في تشخيص المعنى وإيصاله بشكل ملموس للمستمعين في كوفة. ويلاحظ مرتاض أن الصورة هنا تمتاز بالحسية المادية، حيث يتم توجيه النظرة إلى الرؤوس التي تعرض أمام الحجاج، وتبدو له كثمار يانعة، وأنه يتعمد أن يقطفها. هكذا يختار الحجاج بن يوسف الثقفي الصور البيانية التي تعبر عن المعاني التي يرغب في توصيلها[1].

ومن الخطابة في العصر الأموي نجد خطبة الإمام علي عن مقتل عثمان، حيث قال فيها: "لو أمرت به لكنت قائلا، أو نهيت عنه لكنت ناصرا، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني، وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع"[2].

تحتوي خطبة الإمام علي عن مقتل عثمان على تعبيرات بليغة وفنية، وقد تميزت بالإيجاز والجمال اللغوي. الخطبة تحمل معاني رفيعة وألفاظ جزلة، وقد استخدم فيها الإمام علي البديع ليعبر عن موقفه ومشاعره بشكل ملموس وقوي. تجمع الخطبة بين القوة والأناقة، وتعبر عن أفكاره ومواقفه بطريقة متقنة ومؤثرة.

3) الصورة في الشعر المعاصر:

يعرف "علي البطل" الصورة الفنية المعاصرة فيقول: "إذا كان المفهوم القديم قد قصر على التشبيه والاستعارة فإن المفهوم الجديد يوسع من إطارها، فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح، بل قد تخلو الصورة –بالمعنى الحديث– من المجاز أصلا، فتكون العبارات حقيقية الاستعمال

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص200.

[2] عز الدين أبي حامد عبد الحميد هبة الله المداني، شرح نهج البلاغة، ج1، ط1، تع: حسين الأعلمي، الأعلمي للنشر، بيروت، لبنان، 1999م، ص346.

ومع ذلك، هي تشكل صورة دالة على خيال خصب"[1]. وما نفهمه من هذا الكلام في السياق الفني المعاصر، يتضح أن المفهوم الجديد للصورة البلاغية قد تجاوز الاقتصار على التشبيه والاستعارة. فالآن، يُعزى المصطلح إلى أشكال تعبيرية أكثر تنوعًا ومرونة. قد تخلو الصورة الحديثة من الاستعارة أو الرمزية، وتكون العبارات التي تستخدمها حقيقية ومباشرة في استعمالها، ومع ذلك، فإنها تنقل صورة دالة وتعكس خيالًا خصبًا.

وهذا ما نجد في قول مرتاض حين قال: "كثيرا ما تنهض الصورة الفنية في الكتابات العربية المعاصرة على تجسيم الأشياء، أو على تشييبها إن صح مثل هذ الإطلاق، وشحن الألفاظ لدلالات ثقيلة لا توجد في المعاجم، ولا تدور بين الناس في سوق الاستعمال، بل نشء من اللغة جديد"[2] وقد مرتاض مثال ذلك بقول ياسين الأيوبي من مطلع قصيدته بعنوان "سفر النحيب" حيث قال فيه:

ما كنت أحسب أنني

في مغرب الأيام

يغشاني هدير الوصل

يقتلع انطوائي من سراديب الوجوم

سحبا من النور الفتي

تسوقني نحو اكتشاف الواحة الكبرى

و أفياء النجوم

في هذه الأبيات، يستخدم الشاعر استعارات ومجازات لإيصال رسالته وتعبيره عن اللغة الشعرية. يرى مرتاض أن اللغة الشعرية تعتمد على تصويرات تحملها، تنطلق منها لتخلق صورة معبرة تتجاوز المألوف وتستخدم أساليب جديدة. فاللغة الشعرية تهدف إلى تحويل اللغة وإعادة تشكيلها بشكل

[1] علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى أخر القرن الثاني الهجري –دراسة في أصولها وتطورها، ط2، دار الأندلس، 1981م، ص25

[2] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص201.

جديد من خلال الصور الإيحائية والمجازية المتنوعة، بهدف تحقيق التفرد والخصوصية. تنطلق الكلمات في الشعر عن معانيها المألوفة لتكشف عن صور الإيحاء والتشبيه.

يقوم الشاعر ببناء لغة جديدة من خلال الشعر، وهذا ما يؤكده مرتاض. فاللغة الشعرية ترفض استخدام اللغة المألوفة التي تعبّر بها عادة عن آخر العمر. على سبيل المثال، يستخدم ياسين الأيوبي لفظة "المغرب" للدلالة على آخر الأيام والفترة الأخيرة من العمر. وهنا، يستخدم مرتاض تحليلًا لفظيًا لـ "المغرب"، حيث يرى أنها تخرج عن المألوف من حيث الأسلوب. يعتبر "المعرب" صفة تسبق الموصوف، مما يعطي تأويلًا تداوليًا يختلف عن المعنى الظاهر ويكشف عن المعنى العميق[1].

بهذه الطريقة، يقوم الشاعر بتحويل المفهوم اللغوي الاعتيادي وإعادة بناء اللغة بأسلوب مبتكر، مما يعزز التأثير الشعري ويجعل القصيدة تتمتع بطابع فريد وعمق معنوي، وهنا ذكر مرتاض بعض الجمل فيها لفظ المعرب على أنها تقرأ مثلا:

- ما كنت أحسب أنني حين أبلغ من السن غنيا يقع لي ما وقع.

-ما كنت أظن أني أصير في آخر أيامي إلى ما صرت إليه.

وفي قوله: "يغشاني هدير الوصل."

يشير مرتاض إلى أن البيت الشعري الذي تم ذكره يظهر صحة نحوية، لكنه يعتبر غير مقبول دلاليًا. يعتبر الشاعر استعمال "الهدير المدوي" للوصف هنا غريبًا إلى حد ما، إذ يغمر حياته بالكامل ويحجب عنه الرؤية. يعتبر المنتقد هذا التشبيه غير واقعي إلى حد ما، مماثلاً للعبارة التي استخدمها زهير بن أبي سلمى قائلاً: "وعري أفراس الصبا"، حيث وصف أيام الشباب بأنها أفراس ورواحل، وكانت الشخصية الشعرية تركبها دائمًا دون أن تنزل منها. وهذا ينطبق على مرحلة الشباب، أما عندما يكبر ويصل إلى نهايته، فإنه ينقلب عليها لتعبر بكلمات أخرى... كل هذه التصويرات مجرد تمثيل وليست حقيقة، في حين نجد في الصورة الشعرية في البيت الرابع كل شيء غير نفسه قائلا:

يقتلع انطوائي من سراديب الوجود

سحبا من النور الفتي

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص204.

وضح مرتاض من خلال السطر الأول بأن اللغة نظام تركيبي وهو الذي يمنحها الدلالة، رغم أن تلك الألفاظ لا توظف أو تستعمل في دلالاتها الحقيقية، فالانطواء مثلا لا يقتلع، لأن الشيء الذي يقتلع هو الشيء المحسوس- أما الوجود قد جرد من معناه بحيث يكون له سراديب...فالكلام كله عبارة عن الميل "تمثيل شيئا بشيء"[1]، ويعرفه محمد أحمد قاسم على أنه "كل الصيغ البلاغية التي تحتوي تغييرا في دلالة الألفاظ المعتادة ويندرج تحت هذا كال أنواع المجاز في البلاغة العربية ما عدا الكناية التي لا يمنع استعمال ألفاظها في غير ما وضعت له من إرادة لمعنى الأصلي هذه الألفاظ"[2].

أما النور في السطر الثاني فإنه يتصف بهذه الكائنات الحية فيفتدي فتيا لا هرما في مرحلة الشباب لا مرحلة الشيخوخة، وهذا دليل على القوة والشباب والرزانة والجمال...

أما السطرين الآخرين:

تسوقني نحو انكشاف الواحة الكبرى

وأفياء النجوم

في السطرين الآخرين، يستخدم الشاعر السحب النورانية ليوصل نحو كشف الواحة الكبرى وتألق النجوم. يعطي الشاعر لهذه السحب النورانية طابعًا جديدًا يتمثل في التألق والإشراق. يجعل الشاعر الشخصية الشعرية تحمل هذه السحب لتكتشف الواحة العظيمة التي تجلب لها السعادة والفرح. ومع ذلك، تبقى الشخصية الشعرية تتوق إلى شيء ما ولا تجده حتى تجده في النهاية.

يظهر هنا أن اللغة الشعرية تتجاوز الدلالة المعجمية الأولية وتحوّلها إلى دلالة جديدة ورائعة. يقول المحلل مرتاض أن اللغة الشعرية قد صاغت أدوات بلاغية جديدة لم تعتمد على التشبيه التقليدي أو الاستعارة التقليدية. ولكن كل ذلك تحقق بسبب تغيير الكلمات وانتهاك بعض قواعد اللغة، من خلال نقل معانيها المعجمية الجافة إلى معانٍ شعرية جميلة تتجلى من خلال الظل والندى والعطر والشذى.

[1] عبد الملك بو منجل، تأصيل البلاغة، منشورات مخبر الثقافة العربية، سطيف، ص168.

[2] محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني"، ط1،، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2003م، ص184.

يلاحظ المحلل مرتاض أن التصوير في هذه الأسطر هو ما أدى إلى تحويل الدلالة اللغوية، من خلال نقل معانيها المعجمية إلى دلالة فنية جديدة[1]، فالتصوير الفني وهو "التصوير والتعبير بالصورة عن التجارب الشعرية التي مر بها الفنان وهو التعبير الذي يرسم للمعنى صورة أو ظلالا يخاطب الذهن وحده بل يخاطب الحس والوجدان ويثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس"[2]، ونفهم من هذا القول أن التصوير والتعبير بالصورة هو عملية فنية تستخدمها الشعرية للتعبير عن تجاربها ومشاعرها بشكل مرئي ومجسّم. وعندما نتحدث عن "الصورة" هنا، فإننا نشير إلى التشكيل اللغوي الذي ينتج صورًا أو مجسّمات تخاطب الحواس والوجدان، وبواسطة الصورة، يتم تجسيد المعنى ورسمه بشكل ملموس، حيث يتم استخدام اللغة بطريقة تثير الحواس وتخلق تأثيرًا عاطفيًا. فعندما يستخدم الشاعر صورة، يقوم بإيصال فكرة معينة أو تجربة عاطفية من خلال التشبيه والاستعارة والرمزية والتشكيل اللغوي الخاص به، ومن خلال هذه الصورة، يتمكن الشاعر من الوصول إلى عوالم الحواس والوجدان وإثارة مجموعة متنوعة من الانفعالات والأحاسيس لدى القارئ. فالصورة الشعرية تتيح للشاعر التعبير عن تجاربه الشخصية ومشاعره بشكل يتعدى الكلمات المباشرة ويتوغل في أعماق النفس ويستحضر تفاصيل العواطف والمشاهد بطرق جمالية وإبداعية، وبهذا الشكل، يمكن للشعر الوصول إلى أبعد من التعبير المعنوي والمعرفي، ويمكنه إثارة الخيال وإيقاظ الحواس والمشاعر والتفاعل مع النص بشكل عميق وشغف. ومن خلال هذه الصور، يتمكن الشاعر من إيصال رسالته وتجربته الشعرية بطريقة فريدة وإيقاظ الحس الجمالي لدى القارئ[3].

ومن الصورة الشعرية المعاصرة نجد شعر خليل حاوي قائلا فيه:

من ضباب وسخ
مهترئ الوجه، مُدَاجي
يتمطى أفعوانًا، أخطبوطًا
وأحاجي[4]

"نجد مركزية الصورة في لفظ (يتمطى)، وهي الدلالة المركزية في الصورة، ويكملها لفظاً «أفعواناً» و«أخطبوطاً»، وتنتج جمالية الصورة من هذا التوازن الواقعي بين (يتمطى) و(أفعوان)؛ فالتمطي والامتداد

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص205.

[2] صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب، ط2، دار الشهاب، 1988م، ص77.

[3] عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص206.

[4] خليل الحاوي، الديوان: ص246.

والاستطالة تتوافق كلَّ التوافق مع استطالة الأفعوان وامتداده، وتحركات جسده وتمايله، وكذلك نجد التوازن بين يتمطّى والأخطبوط حيث يتميز الأخطبوط بقدرته على الامتداد نظراً لتكوينه «الفيزيولوجي» القادر على الاستطالة والتمدّد، ومن ناحية الإيقاع الصوتي ربما يكون التوافق بين تمطى وأخطبوط أقوى من التوافق بين (تمطى) و«أفعوان» فحرف الطاء مشترك بينهما وحرفا الألف والواو لينان، وكلاهما يؤديان غرضاً قريباً من غرض الآخر"[1].

وفي الأخير يمكننا استنتاج أنه في السياق الفني المعاصر، يشهد المفهوم الجديد للصورة البلاغية تطورًا كبيرًا. لم يعد الاقتصار على التشبيه والاستعارة الوسيلة الوحيدة، بل أصبح يشمل أشكال تعبيرية أكثر تنوعًا ومرونة. يمكن أن تكون الصورة الحديثة خالية من الاستعارة والرمزية، وتعتمد بدلاً من ذلك على الصور الإيحائية والمجازية المبتكرة. يهدف الشعراء في اللغة الشعرية المعاصرة إلى إعادة تشكيل اللغة بشكل جديد وابتكاري، من خلال استخدام تصويرات غير تقليدية واستعارات غريبة. يبنون لغة جديدة من خلال الشعر، ويحوّلون المعاني المألوفة ويطوّرون استخدامًا مبتكرًا للكلمات. ينتج ذلك تأثيرًا شعريًا فريدًا ويضفي عمقًا معنويًا وفرادة على القصيدة. استخدام التصوير الشعري في السياق المعاصر يساهم في تحقيق تجديد اللغة وتوسيع الدلالة، حيث يمنح الكلمات معاني إضافية ويكشف عن معانٍ عميقة، كما يعزز الفرادة والخصوصية في التعبير الشعري.

[1] هدية جمعة البيطار، الصورة الشعرية عند خليل الحاوي، دار الكتب الوطنية، ط1، لبنان، 2010م، ص123.

خاتمة

وفي الختام استطاع عبد لملك مرتاض في كتابه "نظرية البلاغة –متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا–"، بتحليل قدرة بلاغة اللغة على التأثير والإقناع، وأظهر أهمية البلاغة في إبراز جمالية النصوص، كما أشار إلى أن البلاغة ليست مجرد تقنيات وأساليب، بل هي انعكاس لترابط اللغة بالثقافة والتاريخ. حيث تعتبر هذه الجوانب المتميزة في كتابه مساهمة قيمة في مجال دراسة نظرية البلاغة وفهمها، ومن خلال هذا الموضوع الذي كان محور بحثنا المعنون بـ"ملامح التفكير البلاغي لدى عبد الملك مرتاض، قراءة تحليلية في كتاب "نظرية البلاغة، متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا"، قد توصلنا إلى نتائج مهمة واستنتاجات قيمة قد عززت فهمنا للموضوع وتقدم رؤى جديدة تسهم في مجال البلاغة، ومن أهمها:

من خلال دعوة مرتاض لتجديد البلاغة العربية في كتابه "نظرية البلاغة"، يُثبت أن البلاغة العربية لم تمت ولم تتلاشَ، بل عادت من جديد وازدهرت، وأصبحت علمًا يستفيد منه الناس في حياتهم اليومية وفي التعامل في المجتمع.

وقد ركز على تعريفات مختلفة للبلاغة ويوضح أهميتها اللغوية والمعرفية في جمالية اللفظ والمعنى. فيرى أن البلاغة ليست مفهوما نظريا فقط، بل تمتد إلى الحاجة العملية للناس في الحياة اليومية والاستعمالات المختلفة في المحاورات اليومية والآداب الشعبية. يعتبر البلاغة مرتبطة بالأسلوب واللغة بشكل عام، وتعتبر وسيلة تواصل تسهم في التفاهم بين الطرفين وتؤثر فيهما بشكل واقعي.

وقد عبر عن جماليات الأسلبة وكيف يستخدم اللغة بطريقة خاصة لإبراز الأسلوب المتميز وإيصال تأثيره. ويؤكد أن الأسلوب هو وسيلة للتفاعل والتأثير، ويستخدم أساليب مثل والتشبيهات والاستعارات بعناية لتحقيق هذا الهدف. ويعتبر أن اللغة تتلاشى وراء الأسلوب الذي يزخرفها ويجعلها جميلة.

يرى مرتاض أن العلماء المسلمين كانوا يعملون في تحقيق إعجاز القرآن وشرح الأشعار باستخدام الأدوات البلاغية، لكنهم لم يضعوا أسسًا منهجية صارمة لاستخدام تلك الأدوات كأدوات برهانية وإقناعية. وهذا أدى إلى عدم وضوح الأدوات التي يستخدمونها في البرهنة والإقناع. لذلك، يرى ضرورة وضع إطار منهجي صارم قبل الشروع في إنجاز أعمالهم في مجال إعجاز القرآن، حتى يكون القارئ على علم بتأثير القرآن في تأسيس نظرية البلاغة.

ونجده أنه قد استخدم المنهج النقدي في تحليل قضية السرقة الأدبية وملاحظة التشابه بين عدة أعمال، مثل أعمال الرماني والباقلاني، والرماني والخطابي. قد قام أيضًا بنقد الباقلاني وتقديم حجج مقنعة ضده. ورغم ذلك، لم يكن تركيزه الأساسي على البلاغة الإعجازية ذاتها، بل كان أكثر تركيزه على قضية السرقات الأدبية أكثر.

وقد تناول مفهوم التداولية في اللسانيات، وركز على معنى الكلمة وسياق استخدامها، كما أشار إلى أهمية التداولية اللغوية والاهتمام بالمعنى والوضع القائم للتأويل. بالإضافة إلى ذلك، تناول مفهوم البديع في الأدب ودوره في تحسين وتجميل الأسلوب اللغوي، وأشار إلى أن الأسلوبية تدرس مظاهر التعبير وتأثير اللغة في التعبير الوجداني، ودور الأسلوبية الأدبية الفردانية في جمع ودراسة الأساليب الأدبية لأدباء معينين خلال فترات زمنية محددة في تاريخ الأدب.

وقد تطرق أيضا إلى استعمال المصطلحات النقدية مثل الانزياح والصورة الشعرية والبديع وغيرها، حيث تناولت الدراسات الجديدة كلا من الانزياح والصورة البلاغية، بهدف الدعوى إلى التجديد والابتكار في التحليل الأسلوبي البلاغي. ومع ذلك، تزدهر وظيفة البلاغة في العصر الحديث بمدى امتدادها لمناحي الحياة والاستعمال النفعي.

والصورة البلاغية الحديثة لم تعد تقتصر على التشبيه والاستعارة كوسيلة وحيدة، بل تشمل الآن أشكالًا تعبيرية متنوعة ومرنة. فقد أصبح بإمكانها أن تكون خالية من الاستعارة والرمزية، وتعتمد بدلاً من ذلك على الصور الإيحائية والمجازية المبتكرة. وفي سياق الشعر العربي المعاصر، يهدف الشعراء إلى إعادة تشكيل اللغة بشكل جديد وابتكاري، مما يدل على التجديد والتحول الذي يشهده المفهوم البلاغي في الوقت الحاضر.

وختاما أرجو أن أكون قد أحطت بكافة جوانب الموضوع، ولكنني أود أن أقدم هذا البحث كمنصة للباحثين والنقاد لاستكشاف أعماق البلاغة العربية الجديدة، وندعوهم للبحث أكثر في موضوع الأسلبة العربية لاسيما من منظور الباحث "عبد الملك مرتاض" لندرة الدراسات حوله، وأن نوصي بالبحث حول المناهج التي تُدَرَس بها البلاغة في وقتنا الحالي في المستويات التعليمية الثلاث، والتي أوصى بها مرتاض كذلك في كتابه "نظرية البلاغة".

وأخيرا، أحسبني قدّمت اجتهادا ولو يسيرا عن هذا المنجز القيّم للباحث القدير عبد الملك مرتاض، فما كان من قصور فهو من نفسي، وما كان من صواب فهو من عند الله تعالى، فما توفيقنا إلا به.

مكتبة البحث

مكتبة البحث:

I–القرآن الكريم.

II–الكتب :

1. الآمدي، الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تح: محمد محيي الدين، المكتبة العلمية للنشر، بيروت.
2. الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، الجزء الأول، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م.
3. البطل، علي، الصورة في الشعر العربي حتى أخر القرن الثاني الهجري –دراسة في أصولها وتطورها، ط2، دار الأندلس، 1981م.
4. بنكراد، سعيد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، ط2، دار الحوار والنشر والتوزيع، سوريا، 2005م.
5. البيطار، هدية جمعة، الصورة الشعرية عند خليل الحاوي، دار الكتب الوطنية، ط1، لبنان، 2010م.
6. الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، الجزء الأول، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان.
7. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي مطبعة المدني، 2009م.
8. الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر، أحكام القرآن، تح: محمد صادق قمحاوي، دار إحياء الكتب العربية، 1992م.
9. حسين، عبد القادر:
   1) أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
   2) المختصر في تاريخ البلاغة، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001.
10. حنا، عبود، النظرية الأدبية والنقد الأسطوري، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا.

11. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب، ط2، دار الشهاب، 1988م.
12. ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، كنوز المعرفة، عمان، 2016م.
13. الخولي، أمين، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م.
14. الربيعي، حامد صالح خلف، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، جامعة أم القرى، 1996، مكة المكرمة.
15. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله، النكت في إعجاز القرآن، تصحيح عبد العليم، مكتبة الجامعة الملية الإسلامية، 1934م.
16. الزركلي، خير الدين، الأعلام –قاموس التراجم–، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1986.
17. السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
18. ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
19. العتوم، عدنان يوسف، علم النفس المعرفي –النظرية والتطبيق–، دار المسيرة.
20. عتيق، عبد العزيز، تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
21. العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل إبراهيم.
22. علي (أبو)، محمد بركات حمدي، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1983م.
23. عمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي، ط2، دراسة الخطابة العربية، المغرب، 2002م.
24. فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992م.
25. قاسم، محمد أحمد، محي الدين ديب، علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني"، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2003م.

26. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى 2000م.

27. المبارك، مازن، الموجز في تاريخ البلاغة، د. ط، دار الفكر، د.ت.

28. محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ط3، دار المعارف بمصر.

29. المداني، عز الدين أبي حامد عبد الحميد هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج1، ط1، تع: حسين الأعلمي، الأعلمي للنشر، بيروت، لبنان، 1999م.

30. المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغي البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م.

31. مرتاض، عبد الملك، نظرية البلاغة –متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا–، ط2، دار القدس العربي، 2010م.

32. المسدي، عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس.

III–المعاجم :

1. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، مج1، مادة (ن ظ ر)، تح: محمد تامر وآخرون، دار الحديث للنشر، القاهرة، مصر، د. ط، 2009م.

2. رضا، أحمد، متن اللغة، مادة (ن ظ ر)، مج5، دار مكتبة الحياة للنشر، بيروت، القاهرة، د. ط، 1985م.

3. فارس (ابن)، أحمد بن زكريا أبو حسن، معجم مقاييس اللغة، الجزء الثاني، دار الفكر، 2007.

4. الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مادة (نظر)، مج1، دار الحديث، القاهرة، 2008م.

5. قميحة، مفيد محمد، ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن سكيت، دراسة وتبويب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

6. مشبال، محمد، البلاغة والأصول –دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي– نموذج ابن جني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007م.
7. منصور، محمد، إستراتيجية التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة الشر والتوزيع، الدار البيضاء.
8. منظور (ابن)، جمال الدين محمد الإفريقي، لسان العرب، مادة (ج د د)، ج1، دار صادر، بيروت، 1968م.

IV–كتب مترجمة:

1. دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، أكتوبر، 2008.
2. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر محمد برادة، ط2، دار الأمان للنشر، الرباط.
3. ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1988م.

V– المجلات :

1. إياد طارش ساجت، توظيف الأسلبة وفاعلية الرمز في الأداء الممثل المسرحي العراقي، المجلة الأردنية، مجلد 15، عدد 2، 2022.
2. باهية غنام ومصطفى دراوش، تجليات الأسلبة في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، رواية الورم لمحمد ساري أنموذجا، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 11، العدد الأول، 2022م.
3. بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994.
4. تامر سلوم، الانزياح الشعري الدلالي، مجلة علامات، المغرب.
5. طاطة بن قرماز، جماليات الأسلبة في التفكير النقدي عند عبد الملك مرتاض، جامعة شلف، الجزائر، مجلة اللغة والاتصال، 2014، العدد 16، جامعة وهران، الجزائر.
6. العربيّ عمّيش، روح التجاوز في تفكير عبد الملك مرتاض البلاغي، مجلة اللغة والاتصال، 2014، العدد 16، جامعة وهران، الجزائر.

7. محمد سيف بوفلاقة، نظرية البلاغة في بحث الميزان النقدي تجربة عبد الملك مرتاض نموذجا، مجلة قضايا الأدب، المجلد السادس، العدد الأول، 2021، الجزائر.
8. يوسف بن نافلة، التنظير اللغوي لدى عبد الملك مرتاض من خلال كتابه "نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها"، مجلة جسور المعرفة، المجلد 05، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، الجزائر.

VI –المذكرات الأكاديمية :

1. ابتسام بوحربيط، سارة بوزرايب، نحو أسلبة البلاغة العربية في تحليل الخطاب العربي –كتاب نظرية البلاغة لعبد الملك مرتاض أنموذجا–، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص لسانيات الخطاب، 2019–2020، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل.
2. عثمانيّ عمّار، ملامح تجديد البلاغة في كتاب "البلاغة العربية، قراءة أخرى" لمحمد عبد المطلب دراسة تحليلية نقدية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، علوم في البلاغة العربية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2015–2016م.
3. نسرين نعمامنية، هناء بجاوي، أثر النظريات المعرفية في تنمية مهارة الفهم في الكتاب المدرسي الجزائري كتابي في اللغة العربية للسنة أولى متوسط أنموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، تخصص لسانيات تطبيقية، سنة 2020–2021.

VII–المواقع الإلكترونية :

1. https://www.annasronline.com
2. https://www.elhayatalarabiya.net

ملاحق

صورة الباحث عبد الملك مرتاض

الواجهة الأمامية لكتاب "نظرية البلاغة، متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا".

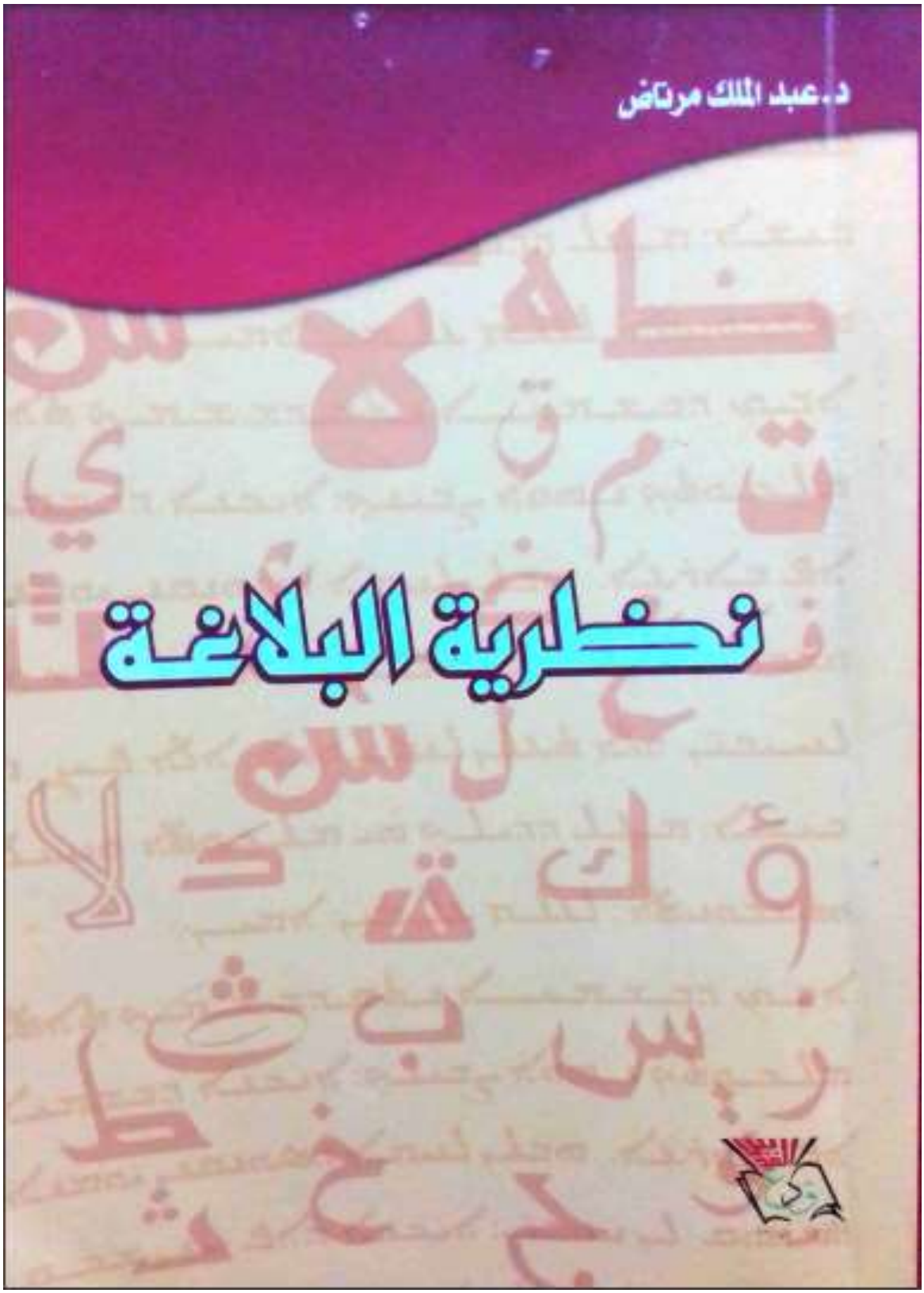

الواجهة الخلفية لكتاب ""نظرية البلاغة، متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا"

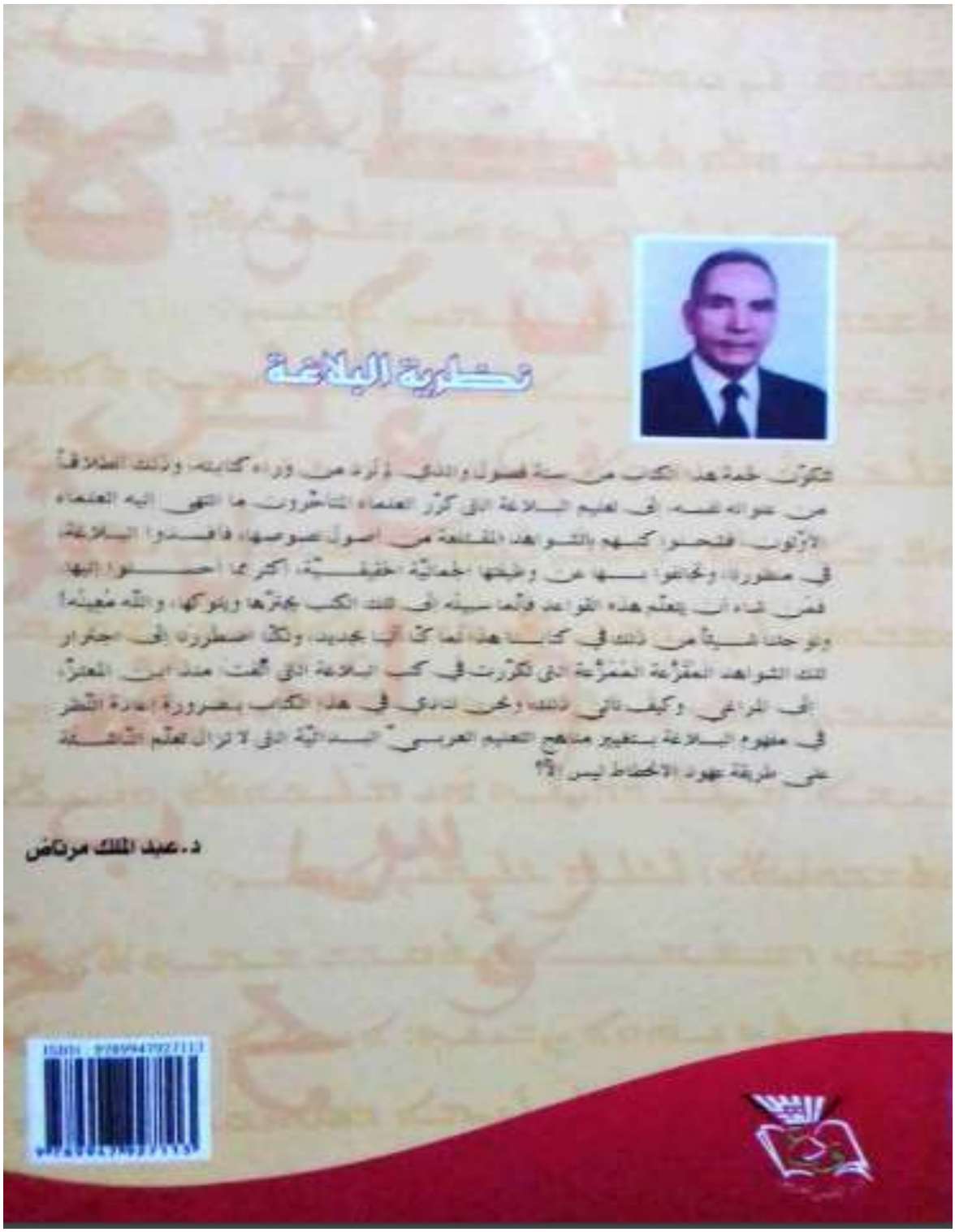

الفهرس

الفهرس:

الموضوعات	الصفحة
بسملة.	
شكر وتقدير.	
إهداء	
مقدمة.	أ
المدخل (الدرس البلاغي من النشأة إلى التجديد).	**1**
الفصل الأول: نظرية البلاغة وجماليات الأسلبة.	**14**
المبحث الأول: نبذة عن العلامة "عبد الملك مرتاض".	**15**
المبحث الثاني: نظرية البلاغة.	**26**
المبحث الثالث: ما بين الأسلوبية والأسلبة.	**35**
المبحث الرابع: جماليات الأسلبة.	**39**
الفصل الثاني: تجديد البلاغة عند "عبد الملك مرتاض".	**42**
المبحث الأول: البلاغة العربية عند "عبد الملك مرتاض".	**43**
المبحث الثاني: البلاغة الاعجازية.	**53**
المبحث الثالث: الميراث البلاغي في المفاهيم السيميائية.	**60**
المبحث الرابع: الصورة البلاغية من منظور عبد الملك مرتاض.	**75**
خاتمة.	**86**
مكتبة البحث.	**90**
ملاحق	**97**
الفهرس.	**101**

الملخص:

إن البلاغة لا تزال تلعب دورًا حيويًا ومهمًا في العصر الحديث، حيث قام العلماء البلاغيون المعاصرون بتجديد وتطوير المفاهيم البلاغية مما ساهم في تحسين استخدامها في التواصل والتعبير، ومن بين هؤلاء البلاغيين الباحث **"عبد الملك مرتاض"** الذي اشتهر كتابه "نظرية البلاغة –متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا–"، حيث تجلت أهميته في تحديث المفاهيم وتحسين استخدام اللغة البلاغية وتطبيقاتها في التواصل والتعبير، وتمثلت قيمته المعرفية في تعميق فهم البلاغة، والتحليل نقدي للأساليب البلاغية، إضافة إلى توسيع الآفاق البحثية، وإلهام الابداع والتجديد في مجال البلاغة، وقد برزت أهداف هذا الموضوع في السعي إلى تطوير النظرية البلاغية، وتوجيه البحث البلاغي نحو التجديد والابتكار، و قد اعتمدنا على المنهج الوصفي ومنهج المقاربة التكاملية لتحليل القضايا البلاغية وفهم البلاغة العربية من منظور عبد الملك مرتاض. وقد توصلنا إلى أن ملامح التفكير البلاغي عند عبد الملك مرتاض قد تجلت من خلال تطويره للنظرية البلاغية من خلال تقديم أفكار ومفاهيم جديدة.

الكلمات المفتاحية: البلاغة – النظرية – الأسلبة – الإعجاز – الصورة – السيميائيات – التداولية.

ترجمة الملخص باللغة الإنجليزية:

Summary:

Rhetoric still plays a vital and important role in modern times, Contemporary rhetorical scholars renewed and developed rhetorical concepts, which contributed to improving their use in communication and expression, Among these rhetoricians is the researcher (**Abd al–Malik Murtad**), who is famous for his book (Theory of Rhetoric - A Follow-up to the Aesthetics of Stylizations in Sending and Receiving), Its importance was manifested in updating concepts and improving

the use of rhetorical language and its applications in communication and expression. rhetorical theory, and directing rhetorical research towards renewal and innovation, and we relied on the descriptive approach and the integrative approach approach to analyze rhetorical issues and understand Arabic rhetoric from the perspective of **Abdul Malik Murtad**. We have concluded that the features of the rhetorical thinking of **Abd al–Malik Murtada** were manifested through his development of rhetorical theory through the introduction of new ideas and concepts.

Keywords : Rhetoric – Theory – Stylization – Miraculousness – Image – Semiotics – Pragmatics.